الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم: العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

مدينة تادمكة (سوق) ودورها في تاريخ السودان الغربي من القرن 1هـ/7م إلى 10هـ/17م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالبين:

- محمد دوبلال
- محمد بلبالي

إشراف الدكتور:

أحمد جلايلي

لجنة المناقشة:	
أد. محمد حوتية	رئيساً
أد. أحمد جلايلي	مشرفا ومقرراً
أد. عبد الرحمان بعثمان	مناقشاً

الموسم الجامعي : 1441-1442هـ / 2020-2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République algérienne populaire et démocratique
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE AHMED DRAYA - ADRAR
BIBLIOTHÈQUE CENTRALE
Service de recherche bibliographique
N°.....B.C/S.R.B//U.A/2021

جامعة احمد دراية - ادرار
المكتبة المركزية
مصلحة البحث الببليوغرافي
الرقم.....م.م/م.ب.ب /ج.أ/2021

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): أحمد جلايلي

المشرف مذكرة الماستر.

الموسومة بـــ : مدينة تادمكة (سوق) ودورها في تاريخ السودان الغربي من القرن 1هـ/7م إلى 10هـ/17م.

من إنجاز الطالب(ة): محمد بلباي

و الطالب(ة): محمد دوبلال

كلية : العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم : العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

تاريخ تقيم / مناقشة: 13/06/2021.

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقيم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.
ولإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

ادرار في 23/06/2021

مساعد رئيس القسم:

مساعد رئيس قسم العلوم الإنسانية
مكلف بمهام التدرج والبحث العلمي
د. بابا عبد الله

ملاحظة :لاتقبل اي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

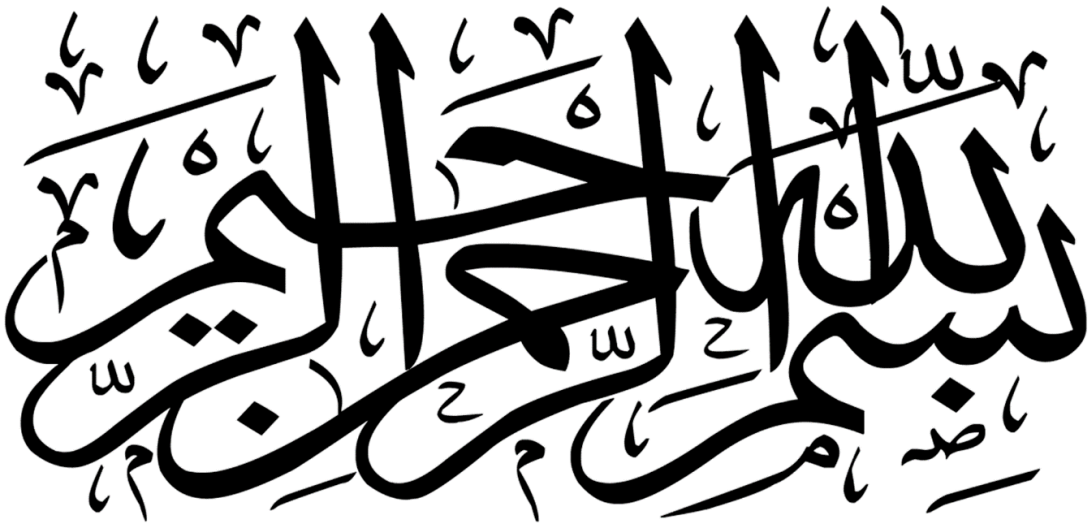
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى خير الخلق وحبيب الحق وأعز من الأهل والأحباب،

سيدنا محمد ﷺ

إلى والداي الكريمان حفظهما الله :أمي التي

ترعرعت وكبرت في أحضانها وأبي الذي كرس حياته

في سبيل عيشي ودراستي.

إلى من قاسموني كل لحظة في حياتي: أخواتي

جعلهم الله لي ذخرا وسندا معينا للأبد

إلى من يزيدني ذكرهم إعتزازاً وفخراً

أعمامي وعماتي ،أخوالي وخالاتي وأبنائهم جميعا أدام الله صلتنا .

إلى كل شيوخي ومعلمي وأساتذتي مع تحية إكبار وتقدير

لهم جميعا .

إلى كل من يحبنا ونحبه في الله.

*إلى كل هؤلاء جميعا أهدي

دوبلال محمد

إهـــداء

بسم الله الرحمان الرحيم

أهدي هذا البحث العلمي إلى"الوالدين

الكريمين "أطال الله في عمرهما و

جزاهما الله عني كل خير

إلى كل "إخوتي "واساتذتي

إلى كل" زملائي " بجامعة أدرار.

بلبالي محمد

تشكـــرات

قال الله تعالى:{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ {19} "

سورة النمل الآية 19.

[من لم يشكر الناس لم يشكر الله]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،الحمد لله الذي نورنا بنور العقل وهدانا إلى طريق المعرفة وذلل لنا الصعوبات ،ووفقنا لإتمام هذا العمل ،فله الحمد إذا رضي وله الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضى،والصلاة والسلام على خير الورى سيدنا محمد.

نتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف "أحمد جلايلي" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه ومعلوماته القيمة ،فكان يشجعنا عند الصواب ويصحح لنا عند الخطأ.

كما نشكر كل أساتذة تخصص التاريخ.

وأخيرا نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد .

مقدمة

إفريقيا القارة السمراء، والتي عرفت بهذا الاسم منذ القدم، وكتب عليها العديد من المؤرخين والرحالة، وبفضل تلك الكتب التاريخية استطعنا معرفة تاريخها وأهمية مكانتها العالمية، والتي كانت تحتلها منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا، فلقد قامت فيها العديد من الحضارت العريقة، وبعد انتشار الإسلام في إفريقيا على يد الجيوش الإسلامية وتوغل الإسلام ليصل إلى الصحراء الكبرى، فقامت على إثرها العديد من الحواضر الإسلامية، من بينها مدينة تادمكة كما عُرفت باسم "السوق".

وتعد مدينة تادمكة حاضرة من الحواضر التي كانت تشع في الصحراء الكبرى، ولعبت دوراً هاماً في نشر الدين الإسلامي، وهي واحدة من المدن الإفريقية الإسلامية التي ذاع صيتها بين شعوب غرب إفريقيا أو بلاد السودان الغربي، ونظراً لما كانت لها من مكانة تاريخية وسياسية، إضافة إلى أهمية اقتصادية والعلمية، استطاعت أن تكتب اسمها في التاريخ بأحرف من ذهب، فلقد كتب عنها العديد من المؤرخين والرحالة والباحثين في التاريخ أمثل: "البكري"، و"الشيخ العتيق الإدريسي"، و"ابن الحوقل".

تاريخ المدينة كان مزدهر، فلقد قامت فيها إحدى أقوى المماليك في الصحراء الكبرى، واستمرت في العطاء والنشاط منذ نشأتها إلى منتهى القرن العشر هجري / السابع عشر الميلادي، وذلك من خلال نشرع العلم والعلوم الشريعة، إضافة إلى قيام أكبر مركز تجاري في السودان الغربي بها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدور المهم التي كانت تقوم به مدينة "تادمكة" في السودان الغربي.

فتادمكة تعد من أهم المدن الواقعة في الصحراء الكبرى، وذلك نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز، فهي محطة عبور للصحراء ومنطقة إلتقاء القوافل التجاري القادمة من الشمال والشرق الإفريقي العابرة إلى الجنوب والغرب الإفريقي، والقوافل

القادمة من الغرب والشرق الإفريقي العابرة إلى الشمال والشرق الإفريقي، وهذا السبب الذي جعلها مهمة تجارياً.

من دواعي اختيار الموضوع:

وعن اختيار مدينة تادمكة لتكون محور هذا البحث العلمي، فذلك للأسباب التالية:

- رغبتنا اكتشاف هذه المدينة و نجعل هذا الموضوع المهم مكسباً جديدا إلى جامعتناً.
- قلة وجود دراسة علمية تناولت مدينة تادمكة علمياً وحضارياً.
- همية المدينة سياسيا واقتصادياً في منطقة السودان الغربي.

الإشكالية:

تعد مدينة "تادمكة" واحدة من أهم المدن الحضارية في بلاد السودان الغربي، وذلك نظراً للمكانة التجارية التي احتلتها، إضافة إلى نشر العلوم والمعرفة في أقطار السودان الغربي وعلاقتها السياسية مع الدول المجاورة لها، فمن خلال هذا المنطلق نطرح الإشكال التالى:

مامدى مساهمة مدينة "تادمكة" في نشر العلم؟ وماهو الدور الذي امتازت به في منطقة السودان الغربي؟

وتتفرع هذه الإشكالية الأساسية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية.

- اين تقع هذه المدينة؟ وماهي العوامل المساعة على نشأتها ؟
- ماهو الدور الذي لعبته في منطقة السودان الغربي ؟
- كيف ساهمت في نشر العلم في المنطقة؟

المنهج :

أما فيما يخص المنهج المتتبع في المذكرة، هو المنهج التاريخي، الذي يتماشى مع طبيعة الموضوع من خلال عرض عرض الاحداث وتتبعها.

خطة البحث:

لدراستنا هذا الموضوع رسمنا خطة تتكون من: مقدمة وخاتمة تتوسطهما فصلان.

مقدمة اعطينا فيها لمحة عن افريقيا عامة والسودان الغربي خاصة وتمت الاشارة فيها إلى أهمية الموضوع المدروس، والدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع.

الفصل الأول عنوناه ب: "لمحة تاريخية عن مدينة تادمكة"، وقسمناه إلى ثلاث مباحث.

يأتي المبحث الأول والذي يندرج تحته أربع مطالب، بحيث جاء في المطلب الأول الموقع الجغرافي للمدينة، والمطلب الثاني تطرقنا فيه إلى نشأة المدينة، وأما في المطلب الثالث فكان الحديث عن المسميات التي اطلقت على المدينة ويأتي في المطلب الرابع، وهو الأخير في المبحث الأول فلقد جاء فيه الجانب الحضاري للمدينة.

ويأتي المبحث الثاني الذي تطرقنا فيه إلى الجانب السياسي للمدينة، وذلك عن طريق ما جاء في المطلب الأول وتمثل في الدول التي أبسطت حكمها على "تادمكة"، إضافة إلى المطلب الثاني الذي يأتي فيه الكلام عن سادات قبائل " تادمكة "، وأما المطلب الثالث فتضمن سياسة المدرسة السوقية.

والمبحث الثالث شمل الجانب الاجتماعي والديني للمدينة، فلقد تطرقنا في المطلب الأول إلى قبائل تادمكة وأقسمها، تطرقنا في المطلب الثاني إلى التركيبة الاجتماعية للمدينة وخصصنا المطلب الثالث لانتشار الإسلام في مدينة تادمكة.

الفصل الثاني خصصناه إلى "دور مدينة تادمكة في السودان الغربي" وقسمناه إلى ثلاث مباحث، فشمل المبحث الأول الجانب الحضاري للمدينة، والذي

يندرج تحته مطلبين، قمنا بدراسة في المطلب الأول آثار مدينة تادمكة، وأما المطلب الثاني فتطرقنا فيه إلى أوجه التشابه بين مدينة تادمكة ومكة المكرمة.

وأما المبحث الثاني فجاء فيه الحياة الاقتصادية في مدينة " تادمكة "، تناولنا في المطلب الأول مقومات الاقتصادية للمدينة، وتطرقنا في المطلب الثاني إلى الطرق التجارية الممتدة من وإلى المدينة، وأما المطلب الثالث فخصصناه لأهمية سوق تادمكة.

أما المبحث الثالث فلقد شمل الحياة العلمية في المدينة، جاء في المطلب الأول النشاط العلمي وأبرز العلماء السوقيين، إضافة إلى المطلب الثاني بعنوان الطرق التعليمية في السوق، والمطلب الثالث يوضح كيف كان القضاء والإفتاء في السوق.

أنهينا دراستنا بخاتمة تضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

الصعوبات:

واجهتنا العديد من الصعوبات في دراسة موضوعنا، منها:

- اختلاط في المصادر والمراجع وعدم إكمال بعض الكتب الحديث او التعمق في الدراسة عن مدينة تادمكة.
- زوال هذه المدينة بالكامل وصعوبة التنقيب الأثري في المنطقة، فترتب عن هذا قلة الدراسات العلمية عن المدينة.
- جائحة كورونا والتي غيرت في المسار التعليمي للسنة الدراسية وأثرت على اللقاءات مع أساتذتنا.

الفصل الأول:

لمحة تاريخية عن المدينة

المبحث الأول: نبذة عن مدينة تادمكة

المبحث الثاني: الجانب السياسي لمدينة تادمكة

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والديني للمدينة

ان مدينة تادمكة أو ما تعرف بالسوق، هي واحدة من المدن الإفريقية، التي ذاع صيتها في السودان الغربي، والتي تتميز بجغرافيتها عن المدن ومماليك بلاد السودان، ومن خلال هذا الفصل سوف نتطرق إلى موقع المدينة ونشأتها، إضافة إلى المسميات التي أُطلقت عليها.

المبحث الأول: نبذة عن مدينة تادمكة

تادمكة المدينة العريقة الواقعة في بلاد السودان، والتي انفردت عن المدن الإفريقية الأخرى بالسوق التجارى الضخم الموجود فيها، وسوف نرى في هذا المبحث موقع المدينة، وجغرافيتها إضافة إلى نشأتها، وبعض المُسميات التي أطلق على المدينة.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي للمدينة

إن الصحراء الكبرى رغم ظروفها القاسية، إلا أنها تتموقع فيها العديد من المدن والحواضر، ومن بينها "تادمكة"، والتي سنتطرق في هذا المطلب.

تقع مدينة تادمكة في جنوبي جبل لونيا، على طرفه الغربي في بلاد "كل آضاغ"، وشمال بلاد السودان الغربي، وغربي "آير"، وشرقي موريتانيا[1] حالياً، بحيث أنها تتمركز في قلب الصحراء، في جنوبي وشمالي خط الاقليم الثاني، على خط طول أربع وأربعين درجة ودقائق، وهذا ما جاء في تحديث "ابن سعيد المغربي" لها[2].

وتعد اليوم ضمن البلديات التابعة لولاية "كيدال"، أقصى شمال جمهورية مالي، وهي على بعد 60 كلم على اتجاه حدود الشمال الغربي، على مشارف

[1] موريتانيا: هي مصطلح روماني أصله أمازيغي "آتمورتناغ"–"أرضنا"، ولعله كان منشراً بين قبائل المور الليبية القديمة الشهيرة التي حاربت الرومان والوندال وغيرهم من غزاة بلاد الأمازيغ القديمة. (ينظر، حماه الله ولد السالم: تاريخ بلاد شنكيطي(موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، الصفحة 18.)

[2] علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، الصفحة 115.

الحدود بين كل من شمال مالي، والحدود الفاصلة الجنوبية لدولة الجزائر، بفرع "تيبينن"، في واد "إبدقن"، الذي يخترق مرتفعات آضاغ من الشرق إلى الغرب، وعلى "رأس منبطح تمسنا"، إلى قيعان تلمسي غرباً، ويحدها شرقاً دائرة "أبيبرا"، وبلدية "أنفيف"، ودائرة "تسليت" جهة الغرب. وقد أختلف حول نسبة تادمكة في المصادر إلى أي البلاد تتبع، فذكر أنها من بلاد السودان، وقيل من بلاد المغرب، وكذلك من بلاد الصحراء، وهي هنا تنسب لبلاد السودان والصحراء جغرافياً، وكلاهما صحيح. وهي اليوم بأرض جمهورية مالي[1].

أما عن جغرافية هذه المدينة، فسطحها بصفة عامة جبلي تخترقه عدد من الشعاب والأودية، كوادي إيدفن، وتحتل موقعاً حصيناً يبدو من وراء اختياره التحسب للتهديد الخارجي، فهي تقع بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية، تتخللها مسالك طبيعية كأنها بوابات للمدينة، يبلغ عدد تلك البوابات أو ما عرفت بالعيون في ذلك الوقت، ثمان عيون، أربع منها في الجهة الشرقية، هي:"عين المسجد"، عين النساء، "عين الأرك"، "عين الجوز" (بنداق تكنا)، وأربع أخرى في الجهة الغربية، هي: "عين الخيل" (بنداق فاجيون)، "عين السيل"، "عين الرمح" (بندان داكبا)، "عين الحصاة"[2].

المطلب الثاني: نشأة المدينة

إن تاريخ المدينة ضارب في القدم، حيث قامت فيها إحدى أقوى ممالك الأمازيغ في الصحراء الكبرى واستمرت في العطاء والنشاط حتى الحادي عشر الهجري/القرن الثامن عشر الميلادي، فلقد أسسها أصحابها الأصليون ممن عمروها قبل الفتح الإسلامي، وأصلهم من صنهاجة الملثمون، حيث أنها عرفت ازدهار كبير في التجارة وذلك لأنها كانت محطة كبرى للقوافل التجارية العابرة

[1] ابى عبيد عبد الله عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، 1964م الصفحة 180.

[2] ابن سعيد المغربي؛ المصدر السابق، الصفحة 115.

للصحراء، وكانت المدينة منذ نشأنها سوق كبيرة رائجة تلتقي فيها بضائع بلاد السودان[1].

ذكر العلماء عنها قبل وصول الإسلام إليها في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، إذ أنها مدينة عظيمة للبربر قديمة، فلما اسلم اهلها صارت من اهم مدن الإسلام، ولقد قامت في المدينة نهضة علمية كبيرة ظهرت في المساجد والمدارس العديدة التي نشأت فيها، وأصبح أهلها من حملة الفقه، ومن أهل السنة ومن محاربي البدعة، وبقوا على ذلك، إلى ان تفرقوا وتشتتوا في البلاد[2].

وبحسب ماجاء في الكتب التاريخية فإن تاريخ المدينة كان قديم، ربما يرجع إلى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فلقد عاشت نشاطاً حيوياً كما أنها شهدت في ذات الوقت حراكاً علمياً واقتصادياً أشار إليه الرحالة ومؤرخو العصر الوسيط الذين زاروا تادمكة خلال عصور ازدهارها أو ممن عاصروا تلك الحقب المزدهرة من تاريخ هذه المدينة الإفريقية العريقة[3].

المطلب الثالث: أصل تسمية المدينة

أُطلقت على "تادمكة" العديد من المسميات، ويعود هذا للأجناس التي تعاقبت على السكن في هذه المدينة، فكانت تضم العرب والطوارق إضافة إلى الأفارقة والتجار الذين كانوا يأتون من كل أنحاء العالم.

ففي التعريف ما يسمى بهذا الاسم على حسب ما جاء في الكتب التاريخية، بحيث كان هناك كتابات عديدة على أصل الاسم، فمنهم من يجعله مملكة مستقلة، ومنهم من يجعله مدينة، ومنهم من يجعله جيلا من الناس يضم قبائل

---

[1] الشريف محمد العتيق بن الشيخ سعد الدين الحسني الإدريسي السوقي: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين،(مخطوط خاص)، مكتبة عقباوي محمد بن سيد احمد البكاي، ب.س.ن، الصفحة 45.

[2] محمد أحمد الإدريسي السوقي: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، ط1، دار اسامة، عمان الأردن، 2010، الصفحة 42.

[3] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 46.

عديدة، وهذا الإطلاق هو الجاري بكثرة في العصور الأخيرة، حتى أن الساكنين في بلاد تغارست وتنبكت في العصر الحاضر، لا يسمون بهذا الاسم إلا أهل بلادهم من التوارق وهذا الاصطلاح ما حدث إلا بعد تغلب "إولمدن" على البلاد التابعة لمدينة تادمكة، فتارة يطلق على جميعها مملكة أو لمدن وتارة تضاف بلاد تنبكت إلى بني آلاد، ويطلق الاسم على إمارتهم التي هي " تنكر اكف " و" إركنتن " و"كلتموليت" وتحت كل من الإمارات الثلاث أمم كثيرة يأتي الكلام عليها، وأما من جعلهم مملكة مستقلة، فالبكري في المماليك والمسالك، فإنه قسم أهل الصحراء التي فيها تادمكة إلى اربعة أقسام كل منها إمارة مستقلة وهي آير، واجر وإهكار وإولمدن[1].

وأما القلقلشندي فذكر في الجزء الخامس من صبح الأعشى: وبين بلاد البربر وبلاد السودان ثلاث ممالك مستقلة وهي، تادمكة، ودموسة، وأهير آير، ولا يحكم عليها أهل السودان ولا أهل المغرب، أما تادمكة وآير فمعلومان موجودان من ذلك العصر ولم يتغير اسم أير وتغير اسم تادمكة، وأما دموسة فلم تبق امة عظيمة مشهورة بهذا الاسم في العصور المتأخرة بل بقيت قبيلة واحدة في بلاد فلتا العليا، تسمى باسم "إدموسن"، ويخالطون قبيلة اخرى تسمى "أدلن" وكانت مساكن أسلافهم بأرض "كاو"[2].

فمدينة تادمكة اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هذه من خلال ما ذكره المؤرخين، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي احسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو وأهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتفقون كما ينتقب بربر الصحاري، وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب تنبته الأرض بغير أعمال ويجلب إليهم الذرة

[1] البكري؛ المغرب، المصدر السابق، الصفحة 183.

[2] أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة،1333هـ/1915م، الصفحة 21

وسائر الحبوب من بلاد السودان[1].

مدينة السوق أو تادمكة، وتعد تسميتها باسم "السوق" تسمية متأخرة، ولكن جرى تغليب الاسم الأخير(السوق) على مرادفة (تادمكة)، وقد صار الناس لا يكادون يذكرونها إلا ب"السوق"، وهذا شيء مألوف في المدن الإفريقية القديمة، وكذلك في المدن الإسلامية بصفة عامة، ولقد أُطلق على مدينة تادمكة العديد من المسميات بالإضافة لهذا المسمى، ومن ذلك ما جاء في كتاب المسالك والممالك "**وتادمكة في بلاد السودان وهي أشبه بلاد الدنيا بمكة المكرمة زادها الله شرفاً، وهي مدينة منيعة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أحسن بناء من مدينة غانة وكوكو(كاوا)**"[2]، فهي السوق باللغة العربية، وأسوك، وتادمكت بالتاء المفتوحة في نهايتها، وتدمكة بدون الف بعد التاء و"تاد مكة" بالفصل بينهما، وأما ودامكة بالطارقية[3].

كما عرفت في فترات لاحقة بمكة الجديدة، فهي تشبه مكة المكرمة، وذلك من خلال تضاريسها، فهي ايضاً تقع بين جبال وشعاب فتادمكة مفردة من جزئين، هما: "تاد" و"مكة"، وتاد معناها "هذه"، حيث أنها اسم إشارة في لغة الطوارق، وهو الرأي الأصح، بحيث أن هنالك رواية تفيد بأن معنى "تاد" هو "هيئة"، أي أنّ معنى تادمكة هو "هيئة مكة"، ونلاحظ أن هذه المسميات التي أطلقت عليها، تعود إلى الأجناس الذين استوطنوا المدينة، فالطوارق أطلقوا عليها أسماء، إضافة إلى العرب سموها باسم تادمكة والتي تعني الشبيهة بمكة[4].

---

[1] أبي عبيد عبد الله عبد العزيز البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فريي، الدار العربية للكتاب، 1992م، الصفحة 880.

[2] نفسه؛ الصفحة 880.

[3] محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، الصفحة 128.

[4] محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/2007م، الصفحة 159.

المبحث الثاني: الجانب السياسي لمدينة تادمكة

كان لمدينة تادمكة جانب سياسيا وذلك نظراً لأهمية المنطقة التي كانت تتربع عليها، مما جعل أنظار الدول والملوك تتجه صوبها من كل نواحي بقاع الأرض، فلقد سيطرت على هذه المدينة العديد من الدول، ولكن لم تحكمها حكماً مباشر بل عن طريق تعيين القبال والعروش واهل العلم في تادمكة.

المطلب الأول: الممالك التي سيطرت على تادمكة

تعاقبت العديد من الدول على بسط حكمها على مدينة تادمكة، وذلك نظرا للموقع الإستراتيجي، فهي التي تقع في بلاد السودان الغربي، لها أهمية سياسية في السودان الغربي منذ حقبة القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وحتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

فأصبحت من اهتمامات القوى السياسية المسيطرة على إفريقيا، بداية من دولة الأدارسة التي سيطرة على تادمكة سنة (172-375هـ/ 788_985م)، وذلك عندما تمدد حكم الأدارسة الى منطقة زاغة على نهر النيجر، ثم انتقل حكم تادمكة للدولة الرستمية(160هـ/777م – 296هـ/909م) التي قامت في مدينة تيهرت، بحيث انها أبسطت سيطرتها على الطرق التجارية التي كانت المؤدية إلى السودان، وقد امتلك الرستميين العديد من القواعد الصحراوية من بينها: قاعدة "وارجلان"[1] التجارية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاد السودان، إضافة إلى قاعدة "غدامس" الواقعة في بلاد السودان، وأما القاعدة الأخرى فهي "سجلمانة" التي تعد نقطة مهمة لانطلاق القوافل عبر الصحراء، فالعلاقات التي كانت بين مدن بلاد السودان والدولة الرستمية، كانت علاقات تجارية وثقافية ذات طابع سياسي، قائمة على المصالح المشتركة بين الجانبين، مما جعلها تستمر حتى بعد سقوط الدولة

[1] وارجلان: هي مدينة إفريقية ومعروفة ببلاد الجريد، يسكنها البربر. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، الصفحة 371.)

الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ/909م، فدفع الكثير من الرستميين وحلفائهم من تيهرت إلى الهروب والاستقرار في مدن بلاد السودان الغربي ومنها: وارجلان وتادمكة وغانة وغيرها، حيث أسسو هناك أحياء لهم ومدن وقرى نشروا فيها تقافاتهم.[1]

رغم ذلك كان لأهل تادمكة الحكم المركزي على مدينتهم خلال تلك الفترات، فكان بنو تانماك هم ملوك تادمكة، برز منهم: "فسهر بن الفارة"، و"أيناو بن سبنزاك". وكون تادمكة خضعت لتلك الحكومات فلا يعني ذلك أن أهلها ركنوا للراحة والدعة في العيش، فإن "أبي زيد بن مخلد بن كيداد" الذي ثائر في سنة 332هـ/944م ضد الدولة الفاطمية هو ابن تادمكة، والى نواحيها فر عندما فشلت ثورته.[2]

كما أن تادمكة تغير نهجها بعد خضوعها سنة (447هـ/1055م) لحكم دولة المرابطين التي ظهرت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، الذي تلى حكم بنو مدرار، فأغار أهلها على من كان يجاورهم وفق منهج المرابطين الجهادي،[3] وهم في الأصل لم يخضعوا لحكم المرابطين إلا بعد أن أعان ملك غانا المرابطين على فرض سيطرتهم على مدينة تادمكة. ومع ذلك ظل أهل تادمكة هم حكامها ملوكاً كانوا أو سلاطين، فقد عُد سلطان تادمكة زمن السلطان أبي الحسن المريني، واسمه الكامل "علي بن عثمان"، حكم مدة 20 سنة (731هـ/1331م-749هـ/1348م)، وكان أكبر حاكم من سلالة بني مرين سناً،

[1] فراس مسلم سليم حياوي: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع10، جامعة بابل، جمادى الثاني2013، الصفحة 176.

[2] القلقشندي؛ المصدر السابق، الصفحة 211.

[3] عبد العلي الودغيري: دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، مجلة التاريخ العربي، ع53، جمعية المؤرخين المغاربة، الصفحة 49.

وهو أحد السلاطين البربر الثلاث أصحاب الحكم المستقل.[1]

لكن يظهر أن هذا هو آخر عهد للحكم المستقل بتادمكة، حيث بدأ عصر الممالك الكبرى بغرب افريقيا. وكان أولها مملكة تكدة، غير أن خضوع تدمكة لم يطل لهذه المملكة، حيث وضع الطوارق يدهم على مدينة تادمكة، واستمر حكمهم لها حتى تمكنت مملكة مالي، وهي احدى الحضارات التي عرفتها افريقيا، والتي نشأة منذ سنة (627هـ/1230م)، من ضم مدينة تادمكة لها. غير أن الطوارق عادوا لحكمها عندما دب النزاع بين أفراد الاسرة الحاكمة بمملكة مالي في سنة (753هـ/1353م). واحكموا قبضتهم عليها الى ما بعد عام (837هـ/1433م)، بالرغم من محاولات الملك المالي منسا موسى الثاني (775_788هـ/1374_1387م) استعادتها منهم، ولكنه اضطر لعقد هدنة معهم.[2]

بعدها أبسطت مملكة الكانم، وهي مملكة كانت قائم على أراضي الموجودة فيها حالياً "التشاد" و"نيجيريا" و"ليبيا"، وكانت فترت حكمها من سنة (81هـ/700م – 777هـ/1376م)، والتي ايسطت سيطرتها على تادمكة. وبعدها ضمتها مملكة الصنغاي وهي مملكة نشأة في الساحل الافريقي، وامتد حكمها من (868هـ/1464م – 999هـ/1591م)، والتي كانت تحت سيطرتها كل من ولاته وتغارة وتادمكة. وقد كانت هذه المدن في استقرار في فترة الحكم الصنغاي، وخاصة في ولاية "سُني علي" وهو أحد ملوك مملكة صنغاي والذي حكم من سنة (868هـ/1464م – 897هـ/1492م)، و"أسكيا محمد" وهو أيضاً أحد ملوك مملكة صنغاي، وامتدت فترة حكمه بين (844هـ/1441م – 944هـ/1538م) وكان أول

[1] شهاب الدين أحمد يحي فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م، الصفحة 133.

[2] الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط1، دار المجمع العلمي، جدة، 1399هـ/1979م، الصفحة 50.

ملوك صنغاي الذين أطلق عليهم اسم أسكيا، فلقد شهدت تادمكة في عهدهما هجرات متتالية للعرب والبربر اليها. فلقد كان الحكم الصنغي هو الحكم الاخير في العصر الاسلامي السياسي لتادمكة. وفي بداية العصر الحديث اصبحت تابعة لخلافة صكتو، وهي دولة إسلامية تأسست في شمال نيجيريا على يد "عثمان دان فوديو وامتدت فترة حكمها من 1218هـ/1804م – 1321هـ/ 1903م)، ضمت ثلاثين إمارة وساعدت في توحيد القبائل والممالك في غرب السودان[1].

نلاحظ من خلال الكتابات التاريخية السابقة أن العديد من الدول والمملكات ابسطت حكمها على تادمكة ويعود ذلك إلى الأهمية التي كانت تتميز بها هذه المدينة في منطقة السودان الغربي، والقارة الإفريقية.

المطلب الثاني: سادات القبائل

اما عن سادات القبائل من قسم "بني كردن" وذكر سلاطينهم، أما السيادة من جهة النجدة والإمارة والغلبة على سائر البلاد فهي في جبل "إماجغن"، ولهم قبائل كثيرة يغلبون على القبائل التابعة لهم قبل دولة" كَردَنَ" وأولاده منهم "ترغيتاموت"، و"إصراككن" و"إكَربَسَن" و"إفُوغَاس"، الذين كانوا في أرض "منكا"، ويخالطون "بني كردن" بالمناكحة والمجاورة لا الذين يتأمرون في بلاد "كدال" ويحكمون على أهلها، ومنهم "تَهَبَنَتْ"، و"تنكر إكَدَشْ" وأهل "أنْسَنك، و"إغتَفَنْ"، فمنهم من انقرض ومنهم من ذهب بقيام دولة "كردن" وأولاده[2].

منهم من صار بعد قيام دولتهم تابعاً لهم متبوعاً لكثير من القبائل، قل منهم من لا تابع له وأكثرهم من له أتباع كثيرون من أمم مختلفة، يحمون ديارهم ويقاتلون عنهم ويدفعون عنهم أذية من يريد بهم سوء من المتجبرين والمغيرين،

[1] عبد الغني عبد الفتاح زهرة: تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1428هـ/2008م، الصفحة 223.

[2] العتيق السوقي، المخطوط السابق، الصفحة 70.

ويأخذون مقابل ذلك أموالاً، وكان كل من المتبوعين يستقل بأتباعه في الأزمان الماضية، فلما قامت دولة "كردن" وأولاده صار كل متبوع تابعاً لهم[1].

أما السيادة من الناحية العلمية والدينية، فكان التمسك بالعلوم والقيام بالوظائف الدينية، وذلك عن طريق اتخاذ المساجد والمدارس ونصب القضاء والوعاظ وإصلاح أمور العامة، فهي لأهل السوق لأن معظم القبائل كانوا يتقيدون بهم في الأمور الدينية، وذلك لأنهم كانوا من أهل العلم والإرشاد فامتازوا بتلك الوظائف عن غيرهم وقدمهم الملوك والرعايا غلى القبائل الأخرى[2].

أما بعد بسط فرنسا لسيطرتها على البلاد، تفرق أمر الإمارات واتخذوا من كل حي من أحيائهم أميراً على قومه بعضهم يحكم على حيه فقط، والبعض الأخر يحكم على حيه وأحياء أخرى تابعة لهم كأمير "إمغاذْ" في "تس" وأميرهم في "كس"، وأكثر أمراء قبائلهم لايزال تابعاً لأمير أكبر منه من قوم اخرين، وكانت الرياسة في هؤلاء لا تنال إلا بالأم وكانت لهم جدات لا يترأس فيهم إلا من ينتمي إليهن من جهة الإناث ولو كان مجهول الأجداد ولا يترأس فيهم ابن الرئيس إذا لم تكن أمه منهن[3].

لقد زاد بعضهم عن حده في إكرام الأم وإهانة الأب حتى أهملوا التوارث بالطريق الشرعي، فكان الولد منهم لا يرث أباه بل خاله أو ابن خالته أو غيرهما ممن يشاركه في الأمهات، وتمسكوا بهذه العادات على الرغم من طلب أهل الدين بتغييرها، ومن أهل هذه العادات حي أهل "أغرس" في بلاد "أربند"، وبعض أهلها رجع عنها في العصور الأخيرة فكانوا كسائر المسلمين في التوارث على قانون الشرع[4].

---

[1] نفسه؛ الصفحة 73.

[2] البكري؛ المغرب، المصدر السابق، الصفحة 178.

[3] مزاحم علاوي؛ المرجع السابق، الصفحة 14.

[4] القلقشندي؛ المصدر السابق، الصفحة 215.

أما في الحكم فكان تقديم الأمهات على الأباء في الرئاسة، فكان ابن الأخت هو الذي يقوم في مقام خاله الرئيس ليس ابنه، وبقية تلك العادة فيهم ولم تتغير إلا في ثبلثة رجال كانوا من الشرفاء وكان اخوال ابائهم ممن يتوارثون الملك بالأمهات، ولما أصبحوا في الحكم قاموا بتعديل هذه العادة من حيث انتقال الحكم إلى ابن الأخت وهم "أفريبُ بن باي" بأرض "تنكف"، والثاني هو "إكَرْويْ بن مطال"، والثالث هو "سليمان بن كَرَيَنْ في أرض "تس"، وهما من ذرية الشيخ "أبي الهدى"[1].

المطلب الثالث: سياسة المدرسة السوقية

كان للمدرسة السوقية دوراً سياسياً هاماً في تادمكة خاصة، وفي السودان الغربي عامة وسوف نسلط الضوء على السياسيات التي امتازت بها هذه المدرسة.

عرفت المدرسة الدينية السوقية بسياسة الاحتفاظ على السلم، وعدم الانجرار في النزاعات القبلية، وإثارة الفوضى والتحالفات التي لم تبنى على أسس شرعية، وكذلك عدم المشاركة في الحروب الداخلية التي كانت قليل ما تهدأ نيرانها بين القبائل الطارقية، قبل الاستعمار الفرنسي وساهمت هذه السياسة التي تنتهجها المدرسة السوقية في صحراء أزواد، في توسيع دائرة نفوذ رجال العلم والدين فيها بين هذه القبائل، نظرا لمكانة أهل الدين بينهم إضافة إلى عدم وجود ثارت وعداوات سابقة بين السوقيين وبين من حولهم من القبائل.[2]

كانت محافظتهم على السلم كما لا يخفى نابعة عن التزامهم بتعاليم دينهم، واستشعارهم للمسؤولية الملقاة على عواتقهم، من قبل المجتمع الذي ينظر لهم على أنهم المثل العليا التي تمثل القدوة للجميع، وكانوا قد وجدوا أنفسهم أمام منطقة تموج في كثير من الأحيان بالفتن والغارات، فبادروا بالقيام بواجب الأمر

[1] محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989، الصفحة 142.

[2] أحمد شكري؛ المرجع السابق، الصفحة 107.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعمل بدور المصلح الحامل لرأس الهداية في ذلك الصقع من أرض الإسلام، ولا ننسى أن مما ساعدهم على الاحتفاظ بهذه السياسة مايقوم به سلاطين (إموشاغ) الذين يتولون زمام الأمور في صحراء أزواد، من توفير الحماية لجميع من ينضوي تحت سلطتهم ولا سيما السوقيون الذين يمثلون السلطات الدينية، فهم المدافعون المحامون عنهم في وجه الأخطار ألمداهمة، نظراً لمكانة العلماء والقضاة عندهم، وقد أفادتنا بعض المصادر التاريخية في المنطقة بأن ذلك التقسيم للأدوار كان نتيجة لاتفاق تاريخي أبرم بين سلاطين (إموشاغ) وعلماء السوقيين[1].

بعد ما بدأ (إموشاغ) يفقدون السيطرة على الأمور نتيجة للاستعمار الفرنسي الذي سجل أبناء قبائل الصحراء الأزوادية في مقاومته أرقى أنواع البطولات وأبرزوا شجاعة وصمود كبير، لكن رغم كل ذلك لم يسمح عدم تكافئ القوى لهم بالإستمرار أكثر من ثلاثة عقود، حافظ السوقيون على نفس النهج إلا أن وضعهم الأمني لم يزل في صحة، واعتلال شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل في الصحراء الأزوادية[2].

مما سبق يتبين لنا أنه لم تكن السياسة غائبة في اهتمامات القادة الدينيين السوقيين، فلم يغيبوا يوما من الأيام عما يجري بين الراعي والرعية، بل حرصوا على إبداء موقفهم الديني أمام زعماء الطوارق غير خائفين، بل ولم يديروا ظهورهم لما يطرأ على المنطقة من أحداث، بل يكاد المنصف يجزم أن غالب ما وقع في تلك الحقب التاريخية، من اتفاقات ومعاهدات ومراسلات بين السلاطين والسوقيين، وهذا ماجعل القضاة من السوقيين هم الأداة المعبرة عن سياسات الدولة الأمازيغية في الصحراء الطارقية[3].

---

[1] ابن حوقل النصيبي؛ المصدر السابق، الصفحة 106.

[2] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 74.

[3] نفسه؛ الصفحة 75.

حسب ما ماهو مطلع عليه في المعطيات التاريخية والوثائق، سجلت اهتمام علماء السوقيين بمصير وطنهم قبل الاستعمار إلى وصول الاستعمار الفرنسي، وأيضاً كان لبعض النخب العلمية السوقية مواقفهم الإصلاحية المشهود لها، وذلك من خلال الأزمات التي كانت بكثرة في المنطقة، واحتفظ تاريخ الصحراء الأزوادي ببمارسة هؤلاء العلماء دورهم الديني في الحفاظ على الروابط الودية، وإن اقتضى الأمر أحياناً عزل بعض السلاطين، الذين لا يصلحون لإدارة شؤون البلاد والعباد[1].

بقي رجال العلم السوقيون على إتصال يسلاطين (إموشاغ)، بحيث أنهم كانوا همزة وصل بينهم وبين العامة في البلد، وكانت لهم مواقف مع السلاطين الظالمة منهم، أما السلطة في المجتمع الطارقي كانت تغلب عليها القوة، فلم يكن هناك دستور ولا مجالس ثابتة، وساعد في الأمر أن الزعماء الطوارق كان لديهم حس ديني قوي، مما جعل الأمر سهل على القضاة السوقيين وعلمائهم، فتم توزيع السلطة إلى نصفين: سلطة تنغيذية للدفاع، وأخرى قضائية لها كامل الصلاحيات[2].

المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والديني للمدينة

إن مدينة تادمكة كانت من بين البلدان المتعددة الأجناس، ويعود ذلك إلى موقعها الإستراتيجي الذي كان مكاناً للتبادل التجاري ونقط التقاء معظم أجناس العالم، ومما جعلها ايضا استقبلت العديد من الديانات ومن بينها الدين الإسلامي الذي جاء لها عن طريق الفتوحات الإسلامية في إفريقيا.

المطلب الأول: قبائل تادمكة

تعددت القبائل في مدينة تادمكة فهي كانت كثيرة الشعوب، مما صعب على

[1] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 882.

[2] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 77.

المؤرخين والرحالة معرفة عدد تلك القبائل كاملة، وتادمكة في أصلها مملكة بعيدة الأرجاء كثيرة الشعوب لا مجال لإحصاء قبائلها في القديم، وذكر الشيخ العتيق السوقي الإدريسي عن ابن حوقل الذي زارها في القرن الرابع الهجري، أنه عد منها في فصل عقده لأسماء قبائل صنهاجة أكثر من عشرين قبيلة، بعضها ما زالت بقاياها معروفة بينما اختفى الكثير منها، فإما انقرضت او تغيرت الأسماء[1].

أما القبائل التي سماها ونسبها إلى تادمكة، صار الكثير منها إلى بلاد آير، وانقطعت العلائق بينهم وبين إخوانهم في وطنهم، ومن لم يصل إلى آير ممن سماهم، لم يبقى منهم بنفس الاسم سوى إلغمتن، وبعد ابن حوقل كثر اختلاط الأمم في عصور ازدهار مدينة تنبكتوا، فوفد إليها رجال العلم والتجارة من المغرب و من توات، ومن سائر الدول التي تتصل بها، فتجددت منهم بعد الانصهار في المجتمع قبائل لم تكن موجودة في القرون الماضية[2].

فالقبائل التي تعمر بلاد تادمكة في الايام التي زارها فيها ابن حوقل الرحالة العربي، من اهل القرن الرابع الهجري عد منها كثيراً ثم اعترف بالعجز عن إحصائها لكثرتها وانتشارها في البلدان المتباعدة الواسع، وذكر قبائل صنهاجة وقبائل صنهاجة الخارجة عن بني عمر ، زيرى وقبيلته يسوه، وايفرين وإيمكيتن وايتوتين وايتروين وايوازين واسواله وبني كسيلة وبني ورتاف وإيزقارن وتلكانه، وذكر نحو عشرين اسما لا أحسن ضبطها، ولا أعرف من يسمى بها في هذا الوقت الحاضر، وممن ذكرهم ممن بقي على الاسم القديم يسمى به الى قبيلى إيلعامتن، وإيمزواغن، وكيلتموتي، وكيلمكزن، وكليفروك، وكيل دفر ذكرهم ممن لست أعرفهم كلساندت، وبنوا بزار، ومن الموجودين في الوقت الحاضر.[3]

---

[1] عبد الفتاح زهرة؛ المرجع السابق، الصفحة 220.

[2] الحميري؛ المصدر السابق، الصفحة 127.

[3] ابو القاسم محمد حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، الصفحة 102.

لكن في بلاد آير إيمكدون وإيكوفان وإيسطافن وكثير من الأسماء التي ذكرها غير ومضبوطة، ولعلها ملحونة فأعرضت عن التعرض لها ثم قال: لو قلت إني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم، لقلت حقا اذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور والعلماء بأحبارهم وآثارهم هلكوا، وقال: في موضع آخر وأما بنوا تانماك، ملوك تادمكة، والقبائل التابعة لهم، ويقال ان اصلهم سودان أبيضت أبشارهم وألوانهم لقربهم على الشمال وبعدهم عن أرض كوكو وهم لأمهاتهم من ولد حام، ويقول آخرون بل هم من صنهاجة أنفسهم، واحتج ملحقهم لبنوة حام،بقول الكندي أن البيضان إذا تناسلوا في بلد السودان سبعة أبطن عادوا في صورتهم وخلقهم من البياض والنقاء.[1]

فهذه القبائل التي سماها ونسبها الى تادمكة صار كثير منها الى بلاد آير مثل إيفرين، وإمكيتن، وإزكارن، وكل فروان، وإمكدزن، وإكوفان، وكثير من غيرهم، وانقطعت العلائق بينهم وبين إخوانهم الباقين في الوطن منذ أزمان حتى جهل أن بينهم شيئا من الاتصال، و اما من لم يصر الى آير من القبائل التي سماها، فلم يبقى في الوطن من يتسمى بها الا إيلغماتن فإنهم بقوا في الوطن إلى إمارة كاو بن، اما بني كردن فخرجوا عنه وكانوا أُمما كثيرة وخرج معهم أشو جد إماجعن، الذين يتأمرون في الوقت الحاضر في أرض بنكلري من أعمال نيجر في الساحل الغربي، ولم أجد خبراً محققاً عن غير هؤلاء من القبائل التي ذكرها بعد الزمن الذي دار فيه على أراضيهم وهو عام ثلاث مائة واربعين من الهجرة، ولعل القبائل التي سماها هي التي فيها الرياسة في وقته، ثم تغيرت الأحوال واضمحل شأن أولئك، وحثت الرياسة والسلطنة فيمن أهمل تسميتهم فعرفوا بعد ذلك الزمان[2].

[1] عبد العلي الودغيري؛ المرجع السابق، الصفحة 45.

[2] البكري؛ المسالك والممالك، الصفحة 866.

بعد أيام ابن حوقل كثر اختلاط الأمم في عصور ازدهار مدينة تنبكت، فوفد إليها رجال العلم والتجارة من المغرب ومن توات ومن سائر الدول تكتنفها، فتناكحوا مع اهل الوطن الأصليين وتجددت من ذلك قبائل لم تكن موجودة في القرون الماضية، كما انقرض الكثير من المتقدمة، وكلا الامرين مشاهد بكثرة نعرف رجالا يبارك في ذريتهم فتصير ذرية واحد منهم قبيلة لها شأن في مدة يسيرة، ونعرف قبائل يعكى من كثرة أصولها وعزتهم ورفعتهم مايتعجب منه السامع[1].

ثم آلا أمرها في العصور الأخيرة إلى الانقراض أو إلى بقاء رجل أو رجلين من بعضها أو بقاء عبيد لهم يسمون بأسماء ساداتهم، فلما كثر اختلاط القبائل وكثر الجهل والتفريط في ضبط أصولها وأخبارها، تعذر إلحاق كثير من القبائل الموجودة الآن الى الأصول القديمة على وجه التحقيق[2].

نقل الشيخ السوقي محمد بن الهادي عن بعض المتقدمين أن مجموع قبائلهم في أيام إسكيا محمد فرقتان، فرقة تعتمد على إكدز، وفرقة تعتمد على تادمكة والمتغلب على الجميع إسكيا، ثم تفرق أمير الجماعة في إتيسان وأدلن وادموسن وإمزغرسن، فذهب إتسيان إلى إستنبول وطلبوا من السلطان فيه أن يولي عليهم وعلى اتباعهم ومن وافقهم من إخوانهم بعض رجاله، فأرسل معهم رجالا من أهل بيته، فجعلوه أميراً وتوارث أولاده بعده السلطنة على إكدز.[3]

ذكر في موضع آخر أن قبيلة أهل إنسطفن كانوا أهل دولة يحكمون على بلاد آير، حتى قدر عليهم أن قتلوا شيخاً من الصوفية يقال له سيدي محمود البغدادي من أهل القرن التاسع، فانتقم الله منهم وذهبت دولتهم، وسيدي محمود

[1] الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 125.

[2] شمس الدين الكيلاني؛ المرجع السابق، الصفحة 97.

[3] رواية محمد أحمد السوقي: تادمكة، 2013/05/05م.

هذا هو شيخ محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بإدَ إنتكرنكت وعنه اخذ طريق التصوف[1].

أما أدلن وإدموسن وإمزغرسن فلم ينقل من اخبارهم شيئاً بعد مبايعة إخوانهم لسلطان إستانبول، وهناك نقل آخر يفيد أن اربع قبائل من قبائل الصحراء هم الذين تعاقدوا وتوافقوا على اتخاذ سلطان أجنبي يسلك بهم سبيل ائمة العدل، بعد ما اعزهم الاتفاق على أمير واحد من أهل البلد، وهم إتيسان وإيلكورين وكيلوي ومسوفة، وزعم أن وطنهم الأصلي أوجله، ثم هاجروا الى أرض آير[2].

ثم لايخفى أن جمهور أهل البلد أعرضوا عن التعلم قديما، ورفضوا الكتابة رأسا فضاع من امورهم ما لايضبط إلا بالأقلام، وبقي جيل منهم على التمسك بالعلوم وضبط ماضيعه إخوانهم، ولم يزالوا محافظين على الانتساب الى السوق حيثما كانوا تبعا لانتساب اسلافهم إليه وهو المسمى باسم أهل السوق، وهؤلاء لايزالون يدعون أصالة الوطن لهم من عهد الفتوح الإسلامية الى خراب مدينة السوق[3].

أما القبائل الموجودة في العصور الأخيرة معموراً بها الوطن الذي بين بلاد آير من جهة المشرق وبين مورتان منجهة المغرب، فمن البعيد إحصائها على وجه التحقيق لكثرة أسمائها وتباعد أوطانها واتساعها، ولا أحسب أن في الوجود من يحيط بمعرفة أسمائها فضلا عن معرفة أفرادها، حتى أن الإحصاءات الحكومية التي تعاني ضبطهم لم تحصل إلا البعض، والطريق إلى معرفتهم على سبيل الإجمال معرفة أقسامهم ومعرفة السادات من كل قسم فإنهم انقسموا الى أقسام ثلاثة: كل قسم منها صار مملكة مستقلة[4].

---

[1] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 67.

[2] القلقشندي؛ المصدر السابق، الصفحة 212.

[3] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 882.

[4] ابن الحوقل؛ المصدر السابق، الصفحة 105.

الاولى: مملكة دنك ويسمى أهلها أيضاً تكريكريت، ومعنى دنك جهة المشرق وسميت بذلك لأنها شرق أختيها، ومعنى تكريكريت المتوسطة وسميت بذلك لأن أهلها توسطوا بين إمارة إكدز وبين إمارة كردن، وامتنعوا من اللحوق بكل منهما فوقعت بينهم وبين كل من الفريقين حروب، آل أمرها إلى استقلال تلك الفرقة بسيادة وطنهم والدفاع عنه، واتخاذ الأمراء والأئمة من أنفسهم ومبدأ أوطانهم التي تعيش فيها القبائل التابعة والمتبوعة، من الحدود التي بين طاو وإكدز إلى الحدود التي بين طاو ومنك وقاعدة حكمهم في الوقت الحاضر طاو[1].

الثانية: مملكة بني كردن وهي بغربي الأولى، وهي أكبر من أختيها، ويسميها إخوانهم من أهل دنك "كل أترم"ومعنى أترم المغرب، وحدود هذه من جهة المغرب إذا اعتبرنا بني آلاد وأتباعهم مملكة مستقلة ببلاد تنبكت وإذا اعتبرناهم مندمجين فحدود مملكتهم ولاته[2].

الثالثة: مملكة بني آلاد وهي الغربية وحدها من أرض تغارست إلى ما وراء رأس الماء، وكل الممالك الثلاثة يشتمل على عدد من القبائل لا يحصى، وكل منها تنقسم إلى أقسام ثلاثة، قسم غالب يتأمر ويدافع عن الأوطان وليس له من التعلم حظ إلا ما لابد منه من تعلم فرض العين في بعض الأفراد، وهذا القسم هو المسمى باسم إماجغن وإموشاع وقسم مغلوب لا يتعلم ولا يحارب ولا يدافع إلا نادراً، وهمته في تربية المواشي وتنميتها ويسمى باسم تلقونْ، ومعناه الرعايا لأن وظيفتهم كانت حفظ الأموال والاعتماد على الغالبين وأداء الأتاوات والخراج إليهم، مقابل الدفاع عن أوطانهم[3].

1) طبقات أهل السوق:على الرغم من وحدة البلاد والإرتباط الذي كان بين

[1] البكري؛ المغرب، المصدر السابق، الصفحة 183 .

[2] الحميري؛ المصدر السابق، الصفحة 146.

[3] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 69.

السوقيين، لكنهم كانوا من اجناس مختلفة وتجمعهم أرض واحدة وهي تادمكة أو السوق، وقد صنفوا في عدة طبقات منها:

أ) الطبقة الأولى: هم أهل البلد الأصليون الذين كانت أسلافهم في الوطن قبل الفتح الإسلامي، وكانوا لا ينسبون أنفسهم إلى الأصل العربي، بل ادعوا أنهم هم السباقون إلى إعتناق الدين الإسلامي، والتمسك بالعلم قديماً و حادثاً، وهم أمم لا تعد ولا تحصى معظمهم تركوا التعلم فلم يذكروا لأنهم اصبحوا من الرعية لا علم فيهم ولا ملك ولا دفاع، ومنهم من إنتقل إلى بلاد "آير"، وهؤلاء لا يعرفون في هذا الزمن باسم أهل السوق، بل كانوا يعرفون بأسمائهم الخاصة، وقل من يعرف أن لهم علاقة ببلد السوق.[1]

ب) الطبقة الثانية: وهم من أبناء الذين قدموا بالدين الإسلامي إلى هذا البلد، فارتبطوا بأهل المنطقة وتزوجوا منهم فنشئت منهم أمة إسلامية، متكونة من العلماء والأتقياء، وغلبت عليهم أخوة الإسلام على أخوة النسب، فلم يكن بينهم الإعتزاز بالأنساب والتعصب الجاهلي، فهم من أبناء الصحابة الذين نزلوا "آضاغ" في آخر غزواتهم، فعمروا فيها مدناً وأنشؤا مساجد وحفروا آباراً، ونشروا فيها العلم وتزوجوا فيها وتناسلوا هناك، فمنهم من رجع ومنهم من بقي، ومن ذرية الصحابة التي بقت في بلاد تادمكة هم ذرية "إمروان"، فلقد ورثوا العلم والدين من آبائهم، فكانوا يعرفون في جميع أنحاء البلاد.[2]

ج) الطبقة الثالثة:

هم أولا الشرفاء والأنصار الذين دخلوا بلاد السوق بعد أهل الطبقة الثانية بقرون، فكانوا متمسكين بأصولهم، لكن في آخر أمرهم لم لم يبق لهم سوى حفظ أسماء آبائهم، من غير ضبط عصورهم وتدوين آثارهم وهؤلاء هم الذين انتهت إليهم

[1] الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 138.

[2] محمد أحمد الإدريسي السوقي: المرجع السابق، الصفحة 37.

الرياسة العلمية في بلادهم من القرن التاسع الهجري، وذالك نظراً لأجل تفوقهم في العلوم والآداب فنالوا مكانة عند سلاطين بلادهم، حتى حكموهم فيما سوى أمور الحرب من سياستهم الدينية والدنيوية[1].

لم يزالوا على ذلك، إلى أن بدأ الاحتلال في سلطنة أو لمدن في أوائل القرن الثالث عشر فأكثروا من مخالفتهم ومتابعة أهوائهم وتركوا التقييد بأقوال علمائهم فأقبل العلماء على إرشاد المسترشدين، وإفتاء المستفتين، وتعليم المتعلمين، وتركوا التعرض للسلاطين إلا قليلاً ممن لا تأخذه في الله لومة لائم فيعظهم إيثار تبليغ الشريعة على نفسه، وربما انتفع المذكر بما يقوله المذكور، وقد بقي أمرهم مع السلاطين هكذا، إلى أن زالت دولتهم في أوائل القرن الرابع عشر، وبقوا أهل هذه الطبقة قائمين بالتعليم والتعلم والإرشاد والإفتاء والوعظ، على الرغم من السيطرة الفرنسية، والمشهورون من طبقة الشرفاء منهم: "بنوا إبراهيم الدغوغي" و"بنوا إغفنسن"، وقليل من "أولاد أيت"، لأن معظم أولاده لايقال لهم أهل السوق، إضافة إلى "بنوا أبي البتول" وهم جماعة منقسمة بين القبائل لم يكن لهم إسم خاص بهم، وأيضاً "بنوا يعقوب" و آخراً "بنوا أيوب" ويطلق عليهم إسم الأجداد الستة[2].

فلقد تبين لنامن خلال دراسة التركيبة الإجتماعية أن مدينة تادمكة كانت تحتوي على مختلف الأجناس، سواء كانو من القارة الإفريقية أو من قارات أخرى، ومختلف هذه الأجناس تعايشت مع بعضها البعض في المدينة، رغم إختلاف عاداتهم وتقاليدهم، ودياناتهم، بحيث استطاعت هذه الشعوب الإندماج وأصبحت تمثل المجتمع التادمكي.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية في مدينة تادمكة

ان الحياة الاجتماعية غالباً ما تعكس الحياة السياسية والاقتصادية معاً،

[1] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 125.

[2] محمد أحمد الإدريسي السوقي: المرجع السابق، الصفحة 40.

فكلاهما يؤثر على الحياة الاجتماعية، وهذا ما انطبق على مدينة تادمكة فالاستقرار السياسي في العصر الاسلامي، بفضله انتعشت الدول اقتصاديا وتعددت المدن وتقدمتهم مدينة تادمكة، رغم المكانة السياسية التى حظيت بهما مدينتي غانا وكوكو، فتادمكة كانت متواجدة فيها العديد من القبائل والاعراق فلقد وصفهم احد المؤرخين بقوله "**ولو قلت اني لم اصل الى كثير من قبائلهم لقلت حقا**".[1]

فالنسل السكاني المتواجد في مدينة تادمكة كان من :البربر والعرب والسودان والزنوج. بحيث قبل دخول الاسلام اليها كان اهلها من البربر وبالضبط قبائل مسوفة، وسمغارة ومداسة، والسودان ومنهم بني تانماك. ولكن بعد الهجرات المتتالية للعرب والبربر والسودان والزنج، ادى الى التغيير في النسل المتواجد في المدينة، بحيث حدث اختلاط بين هذه الاعراق ومن بينهم صنهاجة تادمكة، فلقد كانوا في الاصل سودان حازوا على بياض البشرة وذلك بفضل التمازج العرقي الذي اصبح في المدينة، وايضاً المولودون من زناتة، وشبيههم ذلك التمازج بين البربر والزنج الذي شهده عهد مملكة صنغي.[2]

إن التركيبة الإجتماعية للمدينة كانت متكونة في صنفين، كل صنف كان يمتاز بخاصية خاصة به، فكانت العادات والتقاليد متغيرة من صنف إلى آخر.

الصنف الأول: فكان متكون من السكان المتواجدون في مدينة تادمكة، فكان لباسهم من الدراريع والتي هي تشبه الدراريع المغربية ولكنها اضيق، وايضا كان من لباسهم الاقمصة والسراويل والعمائم المنسوجة من القطن والحرير وغيرها، وهي تصبغ بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق، اما نسائهم فكن يتخذن من الذهب والأحجار الكريمة وكذالك الخرز الزجاجي أحادي اللون زينةً لهن. اما طعام سكان

[1] ابن حوقل النصيبي؛ المصدر السابق، الصفحة 101.

[2] مزاحم علاوي محمد الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، غرداية، الجزائر، الصفحة 12.

مدينة تادمكة فكان من اللحوم والألبان وما يصنع من حب يظهر بأرضهم دون زراعة، بالإضافة للحبوب التي تجلب من أرض السودان من ذرة وغيرها. وكل هذه الأطعمة كانت تقدم في الأواني الفخارية والزجاجية.[1]

الصنف الثاني: كان من السكان الذين يعيشون حياة البداوة في الشعاب والبراري، فكان طعامهم اللحم واللبن، وكانوا لايعرفون الطعام المصنوع ولا الشعير ولا الحنطة او غيرها من الحبوب، كما أن حياتهم كانت فيها مشقة كبيره من يؤكد على انهم كانوا ضاربين في البداوة كغيرهم من بادية الصحراء.[2]

أما بالنسبة للعادات والتقاليد فلقد عرف عن اهل تادمكة اهتمامهم بالسفر والتجارة، وكانوا يتلثمون كما يتلثم بربر الصحراء، وهذا المظهر الأخير ما هو إلا عادة لدى البربر ممن سكن تادمكة أو مظهر مكتسب لأهلها على العموم. [3]

اليوم لا ذكر لأهل تادمكة سوى من نسب إليها بالتامدكي أو السوقي نسبة للسوق الذي عرفت به خلال فترات زمنية، حيث انتقل الكثير من اهلها الى بلاد آير دون سبب معلوم، لكنه لا يبتعد عن كونه أحد العوامل الطبيعية من جفاف وسيول جارفة أو الغارات الحربية.[4]

المطلب الثالث: دخول الاسلام لمدينة تادمكة

استقبلت مدينة السوق الدين الإسلامي منذ دخوله إلى بلاد المغرب وصحرائه، وذلك في منتصف القرن الأول الهجري، فأقبل عليه سكان المنطقة وتجاوبوا معه، ولقد تسارع أهل المدينة إلى تعلم الشريعة الاسلامية برغبة أكيدة، فأصبحت بعد ذلك من بين المراكز الاسلامية في الصحراء الأزوادية، وحمل أهلها

[1] البكري: المغرب، الصفحة 181.

[2] شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية "صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008، الصفحة101.

[3] الحميري؛ المصدر السابق، الصفحة 128.

[4] عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، الصفحة 49.

تعاليم الدين الإسلامي فتخرج من المدينة العديد من علماء الدين والقضاة الإسلاميين.

إن الذي اتفق عليه كلمة أهل العلم في البلاد أن وصول الإسلام إلى أرضهم كان في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[1].

1) أول من حمل الإسلام لها:

تعددت الأقوال في أول من أوصل الإسلام إلى بلاد تادمكة، والذي كان تاريخ وصوله خلال القرن الأول الهجري، فهناك من يقول بأن الإسلام جاء عن طريق "عقبة بن عامر" القرشي كما في بعض الروايات التي بين العلامة "الشيخ العتيق الادريسي السوقي" خطأها من جهتين: والأولى هي أن عقبة بن عامر جهني لا قرشي، والثانية أنه لم يتجاوز القيروان الواقعة بأرض تونس، ثم أنه لم يعرف من قادة الفتح المغربي[2].

كما أنه هناك كتابات تاريخية ذكرت أن المدينة أفتتحت على يد الفاتح الشهير عقبة بن نافع الفهري، وهي انذاك مدينة عظيمة كثيرة السكان، وبنى بها مساجد وحفر بها أباراً، ثم غادرها وخلف بها جماعة من الصحابة منهم مهاجرين وأنصار، فاستوطنوها وأنجبوا فيها ذرية طيبة[3].

صاحب هذا النقل ذكر أن بها قبورهم والرواية كما نراها مليئة بالأخطاء، وقد تولى الشيخ العتيق استقرائها وملاحقتها بالتعقيب والتوهين في عدة صفحات من الجوهر الثمين، وتوصل إلى أن جميع مافي هذا النقل عن السوق والمدينة، إنما هو منسوب لبلاد القيروان وليس لبلاد تادمكة، فأختلط الأمر على الناقل فنسب فنسب للسوق مايعرف عن القيروان، ووجه استناد فتح السوق إليه، بأنه فتح

---

[1] عز الدين عمر موسى: وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، الصفحة 50.

[2] أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1420هـ/1999م، الصفحة 105.

[3] محمد أحمد الإدريسي السوقي؛ المرجع السابق، الصفحة 41.

بلاداً تشتد العلاقة بينها وبين أرض السوق، مثل القيروان و غدامس وكوار (بيلما) حدود ماعرف أخيراً بجمهورية النيجر مع ليبيا– و بلاد هوار (أهكار)، فلما عم الاسلام هذه البلاد تلقاه إخوتهم المتصلون بهم من أهل السوق رغبة وطواعية، فنسب إسلام الجميع إلى عقبة الذي هو السبب الأول فيه، فقد انتهى في فتحه الأول إلى أعماق الصحراء وفي الثاني إلى المأهول من إفريقية وحتى المحيط[1].

فأما الرواية الثالثة وهي منسوبة إلى أشياخ البلد، ونقلها "محمد بن عال" عن الشيخ " كلاس من آل(إدرفن)، وذكر فيها أن إسلامهم كان بواسطة جيش بعثه عمر بن عبد العزيز إلى المغرب، فلم يُسم فيه قائد الجيش ولا تأريخه، وهو محتمل للصحة أكثر من سابقه على رأي الشيخ استئناساً، بأن عمر بن العزيز لما تولى الخلافة سنة 99هـ/717م، ولى إسماعيل بن عبيد الله على حرب المغرب وخراجه في شهر المحرم سنة 100هـ/718م، وكان إسماعيل حسن السيرة، ولم يبق في ولايته يومئذ من البربر أحدا إلا أسلم ولم يزل والياً على المغرب حتى توفي عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ/719م، فلم يبق منهم أحد إلا دخل الاسلام، وكان ذلك في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، أما الطرق التي انتشر بها الإسلام في بلاد البربر عديدة فكانت إما بالفتوحات الاسلامية، أو عن طريق التجار القادمين من منطقة توات أو على أيدي الدعاة الناشرين للإسلام والفقه والعربية[2].

تجاوز أثر الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية لبلاد المغرب الى أبعد من ذلك، فقد قام التجار المسلمون ببلاد المغرب بنقل الإسلام من خلال تجارتهم إلى بلاد السودان الغربي بعد استقرار الحكم الإسلامي، فقد عرف أهل قرافون وأهل تادمكة وأهل غانا الإسلام منذ وقت مبكر، وذالك في عهد الخليفة

[1] الشيخ العتيق؛ المخطوط السابق، الصفحة 49.

[2] محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الصفحة 125.

الأموي هشام بن عبد المالك بل قامت تادمكة وأهلها بدورها الدعوي تجاه مدينة كوكو و أهلها وغيرهم[1].

لكن مع المتغيرات السياسية في بلاد المغرب ببسط الدولة الرستمية سنة (159هـ-296هـ / 776م-909م) سيادتها عليها، ومن بعدها الدولة المدرارية سنة (208هـ-296هـ/823م-908م) تحول أهل تادمكة كغيرهم من المذهب السني إلى المذهب الإباضي، ويظهر أن خلال هذه الفترة الزمنية ضعف ارتباط أهل تادمكة بالإسلام حيث ظهرت بعض الظواهر التي لم يعارضها أهل المدينة كالزنا، بل ظهر من خلال وصف بعض المؤرخين وكأنهم خرجوا عن الدين الإسلامي. ولهذا الحال ما أن قامت دولة المرابطين حتى وجهت قواتها لتادمكة، وذالك من اجل إصلاح وتجديد سني لها وللمدن المجاورة أيضاً، وقد تعاون المرابطون في هذه الحروب مع الملك دَيفنُ حاكم مملكة غانا، فكان لهم السيطرة على تادمكة ونسلا وغيرها من مدن غرب السودان، ومنذ هذا الوقت أضحت تادمكة مدينة ومملكة إسلامية لها دورها وحضارتها كمثيلاتها من المدن والممالك الإفريقية [2].

[1] نقولا زيادة: إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 1991م، الصفحة 20.

[2] البكري؛ المغرب، المصدر السابق، الصفحة 181.

الفصل الثاني:
دور مدينة تادمكة في السودان الغربي

المبحث الأول: الجانب الحضاري لمدينة تادمكة

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في مدينة تادمكة

المبحث الثالث: الحياة العلمية في السوق

إن مدينة تادمكة كان لها دور كبير في السودان الغربي، وكان يتمثل هذا الدور في عدة نواحي، منها الاقتصادية والتي لعبت تادمكة دوراً هاماً فيها وذلك نظراً لموقعها الإستراتيجي الممتاز، والذي جعلها همزة وصل بين بلدان السودان الغربي، إضافة إلى المكانة العلمية التي تميز بها السوق في تادمكة والذي اصبح منارة علمية تضيئ في بلاد السودان الغربي.

المبحث الأول: الجانب الحضاري لمدينة تادمكة

تعتبر مدينة تادمكة صورة من صور الحضارة الاسلامية في الغرب الإسلامي، تحتاج الى بحث واستقراء لرصد ذلك الإرث الحضاري. بالاعتماد على عدد من مشاريع تنقيب الآثار الأوروبية التي اجريت في موقع مدينة تادمكة، ومشاهدات لزوار آثار هذه المدينة، سوف نتناول تلك المعالم والآثار التاريخية للمدينة.

المطلب الأول: آثار مدينة تادمكة

كان لمدينة تادمكة آثار ومعالم بقية صامدة لقرون رغم الظروف الطبيعية للمنطقة (فيضانات، زحف الرمال.. إلخ.) إلا أنه وجدت بعض الأثار عن هذه المدينة الواقعة في السودان الغربي، وهو ما وقعت عليه يد عدد من المشاريع الآثارية الكشفية. واليوم لا يوجد من مدينة تادمكة سوى بعض الآثار التي أبقى عليها الزمن، فتموقعها في منطقة بها شعاب وأودية، وكون أحد أبوابها هو باب السيل، فمن البديهي بعد هذا الزمن الطويل أن لا يبقى من المدينة سوى الأثر، وأيضا أنها كانت من مباني طينية، مما جعلها تطمس من جراء الفياضانات،

وتبلغ مساحة تلك الآثار الموجودة بموقع تادمكة خمسون هكتاراً، يغلب عليها أنها تعود للقرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلادين.[1]

أبرز هذه الأثار بناء مطمور بالرمال، يتكون من عدد من الوحدات الصغيرة مستطيلة الشكل، ذات مخرج أو مخرجين. وتتصل فيما بينها بممرات، ويوجد في المسكن بهو، وغرفة المعيشة، بها موقد. ويبلغ ارتفاع جدران المسكن خمسة أمتار، ويعلوها السطح الذي يمكن الصعود إليه عن طريق درج مخصص. وعن مواد بناء المسكن فهي من الحجارة الصماء، والطين، ويغلب على هذا البناء البساطة، وفي أغلبها تتكون من دور واحد[2].

هناك بجوار هذه المساكن رُصدت مقابر على صنفين: **أولها**ـ مقابر خاصة ضمن بناء المساكن، وهي المقابر التي عرفت عبر التاريخ لعلية القوم وسادتها. **ثانياً**– مقبرة محاطة بسور، وهي مخصصة لدفن عامة سكان تادمكة، ووجد بهذه المقابر بقايا شواهد لتلك القبور، عليها كتابات باللغة العربية واللغة الطارقية (التيفيناغ)، بالإضافة لرسومات متنوعة[3].

وعند الحديث عن الكتابات الصخرية فقد عثر على نص عربي من مقطعين على صخرة شاخصة بتادمكة لم يتم تحديد إطار زمني لها، ونصها كا لآتي: **المقطع الأول:** على يمين الصخرة من جزئين، ونصها: "**وكتبه... ابن ابا بكر رحمه الله يوم الثلثة**" ، والجزء الثاني:"... **ابراهيم رى وتكر رحمة الله في**

---

[1] Sam Nixon: (Tadmekka. Archeologie d' une ville caravaniere des premiers temps du commerce transsaharien), Afriques, 23 mai 2013, p 33

[2] Epid p 62.

[3] Epid p 36.

عام... مائة من التاريخ". المقطع الثاني: على يسار الصخرة من جزء واحد، ونصه: "**من قال لا اله الا الله محمد رسول الله مخلصا من قلبه دخل الجنة**".[1]

المطلب الثاني: أوجه الشبه بين مكة المكرمة ومدينة تادمكة:

كان الحكم على مماثلة أو مشابهة تادمكة لمكة المكرمة يقتصر على تلك الطبيعة الجغرافية المتشابهة، ولكن التشابه لم يقتصر على الجانب الجغرافي، وتعداها إلى جوانب آخرى، منها: جانب التعدد اللفظي لمسمى المدينتين، وجانب المزيج السكاني، والجانب الاقتصادي. ويمكن التفصيل كالآتي:

1) التضاريس الجغرافية: عند الحديث عن التشابه الجغرافي بين مكة المكرمة وتادمكة، يلاحظ أن: هناك عدة عناصر متماثلة. **أولها:** السلاسل الجبلية المحيطة بمكة المكرمة هناك تشابه بينها وبين السلاسل الجبلية المتواجدة في تادمكة، وأيضا التميز بالموقع الجغرافي الهام فمكة المكرمة تتوسط الساحل الغربي للجزيرة العربية، وتادمكة تتوسط شمال افريقيا وأوسطها. **ثانياً:** كلتا المدينتان تحيط بهما الجبال، ولذا فجغرافية المدينتين عبارة عن شعاب تلك الجبال، كما أن تلك الجبال تشكل فيما بينها مداخل طبيعية للمدينتين[2].

2) المسميات التي أطلقت على المدينتين: عرفت مكة المكرمة بمسميات متعددة، منها ما سميت به بسبب طبيعتها الجغرافية أو صفات اتصفت بها، وعلى شاكلتها تعددت مسميات مدينة تادمكة، كما تعدد نطق اسمها مع فارق كبير لمكة المكرمة شرفها الله، فتادمكة وتادمكت وتدمكة جميعها ألفاظ لمسمى واحد، والسوق واسوك وسوق إفورة لهم نفس المعنى.[3]

---

[1] Sam Nixon, Epid p 12

[2] محمد الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 139.

[3] محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبد المالك بن دهيش، ج1، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م، الصفحة 63.

3) التركيبة الاجتماعية: تتميز بعض المدن بقدرتها على تكوين مزيج سكاني يجمع بين سكانها الأصليين والوافدين، كونها ذات تنوع ديني كمكة المكرمة، أو إجتماعي كتادمكة، ومعلوم منذ نشأة مكة المكرمة أصبح يأتي لها الناس من كل بقاع العالم، حتى أن العائلات الحاكمة لها كانت تنادي بعودة القادمين إليها في موسم الحج إلى ديارهم. ورغم ذلك شكل مزيج من البلدان المجاورة والسكان الأصليين المجتمع المكي، وأيضا تادمكة كانت مقصداً لعدد متنوع من الأعراق، انتقل إليها بهدف الاستفادة من تميزها الاقتصادي، فكان المجتمع التامدكي خليطاً الاعراق.[1]

4) الاقتصاد: امتازت مكة المكرمة وتادمكة في الجانب الاقتصادي بكونهما محطة اتصال للمنتجات التجارية فيما بين المدن والأقاليم، وهو ما جعل منهما مركزاً تجارياً يماثل ما يعرف اليوم بالمراكز التجارية متعددة المنتجات. ولم يقف الأمر عند ذلك بل كان لسكانها دور ملحوظ ليس فقط في إدارة الجوانب الاقتصادية بمدنهم، بل كان لهم دوراً بارزاً في الأسواق الأخرى، فكان ذلك الثراء الملموس لمن مارس التجارة في مكة المكرمة وتادمكة.[2]

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في مدينة تادمكة

بلغت تادمكة في العصر الاسلامي مكانة اقتصادية كبيرة، فهي من أرتقى بها حالها الاقتصادي لتحمل اسم السوق في العصر الإسلامي وما بعده عرفت بسوق إفورة في العصر الحديث، كما أنها محطة رئيسية في طرق القوافل، ولأهلها مكانة مذكورة في عملية التبادل التجاري، بل أن الحياة الاقتصادية بها جعلتها مطلبا لعدد من الدول كما حدث بصورة جلية مع الدولة الرستمية[3].

---

[1] عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ- 1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1408هـ/1988، الصفحة 34.

[2] محمد طاهر الكردي؛ المرجع السابق، الصفحة 64.

[3] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 883.

المطلب الأول: المقومات التجارية للمدينة

لعل من أبرز ما أرتبط بمدينة تادمكة، أنها واحدة من المراكز التجارية المهمة عبر دروب ومسالك الصحراء الكبرى، وكانت القوافل التجارية تأتي لها من جميع أنحاء العالم، وهذا ما جعل الاقتصاد مرتكز على التجارة في المدينة، بل وكان لأهلها دور في ذلك والذي يتجلى من خلال صورتين:

أولاً: ممارسة أهل تادمكة التجارة بأنفسهم، فكان لهم تواصل وحضور مشهود في الأسواق المجاورة كسوق تيرقي[1].

ثانياً: توفر الوكلاء والأدلاء للتجار القادمين من خارج تادمكة، وهو أمر مهم بالنسبة لهم خاصة وأن المنطقة المحيطة بهم منطقة صحراوية شاسعة، كما تم توفير الخانات وحظائر الجمال بتادمكة، وهذا كله دفع بالتجار للقدوم إلى تادمكة للتجارة و ايضا للإستقرار بها[2].

أما عن التعامل بالنقد بتادمكة فقد تعامل أهلها بالقيراط والدينار، وكان الدينار التادمكي في بدايته عبارة عن قطعة ذهبية لا ختم عليها لذا عرفت بالدنانير الصلع. ورغم عدم ورود ذكر لعملات مسكوكة بتادمكة في المصادر، إلا ان هنالك كشف آثاري أكد على وجود قوالب لسك العملات الذهبية بها تعود للقرنين الثاني والثالث الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين. وهذا ما يفيد بأن سك العملة انتقل مع الحضارة الإسلامية إلى تادمكة منذ فترة مبكرة[3].

أما الزراعة بتادمكة فيظهر أنها كانت ضعيفة نوعاً ما وذالك يعود إلى جعرافية المدينة الجبلية، والمنطقة الصحراوية المحيطة بها. ورغم ذالك إلا أن هنالك مدلولات على وجود زراعة النخيل والقطن، يتضح ذالك من خلال تلك البذور التي وجدت ضمن الآثار المتبقية عن المدينة، كما أن تادمكة عرفت

---

[1] الحميري؛ المصدر السابق الصفحة 146.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في العهدين الأسبقيين 1493-1591، الشركة الوطنية، 1971، الصفحة 212.

[3] الحميري: المصدر السابق، الصفحة 128.

الزراعة التي تعتمد على الري بالأمطار. ونتيجة لهذا الضعف الزراعي وحاجة سكان تادمكة لما يمونهم كمصدر للغذاء اهتم أهلها بتربية الحيوانات، ومنها: الماعز والأبقار، وهي النسبة الأكبر إضافة الى الجمال والدجاج الحبشي والنعام والغزلان والخيل، وأيضا كانت هناك تربية للحمير والكلاب للحاجة إليها في النقل والحراسة[1].

المطلب الثاني: التجارة في تادمكة

شكلت مدينة تادمكة عنصراً هام في الجانب الاقتصادي في السودان الغربي، وتحديداً فيما يخص الجانب التجاري منه، اوما يعرف بحركة التجارة الصحراوية، بحيث أنها كانت هي المحطة الرئيسية للقوافل التجارية القادمة من الشمال الافريقي، والتي تريد المرور الى الصحراء الكبرى، وبفضل هذا صارت مدينة تادمكة مركزاً تجارياً وسوقاً كبيراً في عمق الصحراء الكبرى[2].

كانت تتميز بوجود البضائع المتنوعة التي كان يحملها التجار القادمون من كل حدب و صوب، وكانت مقصداً للتجار القادمين من شمال افريقيا ومصر بهدف الذهاب إلى أسواق بلاد غرب إفريقيا، حيث تتواجد هناك مناجم الذهب والأسواق التجارية المعروفة منذ اقدم العصور التاريخية، ولعل ذالك ما جعل تادمكة مهمة تجارياً[3].

أ) الطرق والمسالك التجارة المؤدية لمدينة تادمكة

أصبحت تادمكة مركزاً للطرق والمسالك بين أقاليم حوض نهر النيجر وشمال الصحراء الكبرى، وخاصة ما ارتبط بها بالحواضر الإسلامية كالقيروان وغيرها. ومن ابرز هذه الطرق الأتية:

[1] البكري؛ المغرب، المصدر السابق الصفحة 181.

[2] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 883.

[3] نفسه؛ الصفحة 881.

1- طريق تادمكة والقيروان:[1] يبدأ من تادمكة الى مدينة ورجلان عبر طرف الصحراء مما يلي إفريقية بمسيرة خمسين يوما، ثم من ورجلان الى قسطيلية[2] بمسيرة أربع عشرة يوماً، وبمسيرة سبعة أيام يصل السالك منها إلى مدينة القيروان.

2- طريق تادمكة والقيروان: يربط بين تادمكة والقيروان، ولكنه يمر بمدينة بورجلة.[3]

3- طريق تادمكة وغانة[4]: يحتاج سالك هذا الطريق الى خمسين يوماً لاجتيازه، وهذا الطريق يبدأ بتادمكة عبر الصحراء، ثم تيرقي[5]، ومنها الى بوغرات، ثم الى تادمكرة وسفنقو، وبعد ثلاث مراحل من سفنقو يصل السالك الى غانا.

4- طريق آخر يصل بين تادمكة وغانا: يجتاز بعد تادمكة الى مدينة تادمركة، ومنها الى تادمكة، ثم غانة.

5- طريق يربط بلاد المغرب بجنوب الصحراء والذي يبدأ من ورجلة الى فزان،[6] ثم الى غاث، ومنها الى هجار، ومنه الى تادمكة.

---

[1] القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، طولها إحدى وثلاثون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة، كان لها دور كبير في العصر الإسلامي سياسياً وحضارياً. (ينظر، ياقوت عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص420-421.)

[2] قسطيلية: كورة بأرض الزاب الكبير، تتبعها مدن عدة منها توزر والحمة ونقطة. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، دار صادر، 1397هـ-1993م،الصفحة 348.)

[3] ورجلة: مدينة بالصحراء الكبرى أسستها قبيلة وركلا الزناتية، وهي اليوم جنوب غربي دولة الجزائر. للإستزادة حول هذه المدينة (ينظر محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، الصفحة 23.)

[4] غانا: مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب، متصلة ببلاد السودان الغربي. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، دار صادر، 1397هـ-1993م، الصفحة 184.)

[5] تيرقي: مدينة كبيرة غير مسورة ببلاد السودان الغربي. (ينظر محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، الصفحة 25.)

[6] فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. عاصمتها مدينة زويلة السودان. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، دار صادر، 1397هـ-1993م، الصفحة 260.)

6- طريق تادمكة وغدامس[1]: وهذا الطريق يصل تادمكة بطرابلس بعد اجتيازه لغدامس، والطريق على مراحل: تادمكة الى عمارة سمغارة، ثم يمر بأربع مجابات الى غدامس، ويحتاج هذا الطريق اكثر من خمسة وعشرين يوماً لاجتيازه.

7- طريق مصر وتمبكتو: هذا الطريق يجعل من تادمكة محطة رئيسية له، فهو ينطلق من واحة سيوة، الى زويلة،[2] ثم تادمكة، فغاو، منتهياً بتمبكتو.

8- طريق الاسكندرية والسودان الغربي: هذا الطريق كسابقة في استخدام تادمكة، فيبدأ بغدامس، ثم تادمكة فالسودان الغربي.

9- طريق تاهرت[3] وغاو: وهو كسابقيه في استخدام، فيبدأ بتاهرت، ثم ورجلة، مروراً بتادمكة، ومنها الى غاو، بالإضافة لهذه الطرق ترتبط تادمكة بمدن اخرى مجاورة لها منها: كوكو،[4] ورجلة، وكاغو، ونسلا. وبهذه الطرق كان لتادمكة حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ضمن مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي بإفريقيا[5].

ب) الطرق الممتدة الى تادمكة:

عند الحديث عن دور تادمكة الاقتصادي يبرز أولاً موقعها كمحطة رئيسية لأغلب طرق التجارة الممتدة بين شمال قارة افريقيا ووسطها.

أولاً: ابرز الطرق التجارية:

---

[1] غدامس: مدينة بجنوب المغرب، من ناحية بلاد السودان الغربي اشتهرت على مر الزمن بدباغة الجلود. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، الصفحة 187.)

[2] زويلة: مدينة غير مسورة من بلاد السودان الغربي مقابل اجدابية في البر بين السودان وإفريقية. (ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، الصفحة 159-160.)

[3] تاهرت: مدينة من بلاد السوس، وهي على شطرين: مدينة قديمة مسورة، ومدينة حديثة. (ينظر محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، الصفحة 222-255-256.)

[4] كوكو: بلاد من أرض السودان الغربي، وهي في الأقاليم الأول. ويطلق مسمى كوكو أيضاً على أهلها.(ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، الصفحة 490.)

[5] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، الصفحة 115.

1) طريق "أوذغست" "غانا" "تادمكة" "ورجلان" "بلاد الجريد": هذا الطريق التجاري الطرق القديمة، فقد رصد جغرافياً منذ مجيء المسلمون إلى شمال إفريقيا، وقد أدى دوره التجاري في الربط بين بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط إلى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[1].

2) طريق تادمكة "غدامس" "جبل نفوسة" "طرابلس": شهد هذا الطريق اهمية تجارية كبيرة وخاصة في تجارة الرقيق، ولكن مكانته تراجعت في أواسط العصر الإسلامي[2].

3) طريق واحة سيوة "زويلة" "تادمكة" "غاو" "تمبكتو": يعد أحد الطرق التجارية العرضية بإفريقيا، فهو يتجه من الشرق إلى الغرب بانحراف نحو الجنوب[3].

4) طريق غاو "تادمكة" "غات باتجاه برقة أو مصر، وطريق غاو "تادمكة" غدامس نحو برقة وإفريقية: كلا هذين الطريقين يتجهين من ناحية وادي النيجر باتجاه الشمال، وقد كانا ذا نشاط كبير خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين[4].

5) طريق توتك " تادمكة " " كوكو": يعد هذا الطريق من الطرق التجارية المخصصة لنقل سلعة محددة، وهو مخصص لنقل معدن الملح[5].

6) طريق أرغوين – أُوليل – أودغشت – تادمكة – بلما (كوار) – زويلة – اوجيلة – الحبشة – وادي النيل، يعتبر هذا الطريق من الطرق الصحراوية التي تخترق الصحراء مستعينة بمرورها على الواحات لإكمال مسيرتها، وهي من الطرق التجارية القليلة[6].

---

[1] ياقوت الحموي: المصدر السابق، الصفحة 278.

[2] نفسه؛ الصفحة 297.

[3] الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 312.

[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق، الصفحة 389.

[5] الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 19.

[6] محمد أحمد الإدريسي السوقي: المرجع السابق، الصفحة 26.

ونلاحظ أن تلك الطرق جعلت من تادمكة محطة رئيسة لها، مما يجعلها نقطة بداية أو نهاية له، أو من خلال جعلها نقطة استراحة وتداول للسلع المحمولة في تلك القوافل التجارية.

المطلب الثالث: التعاملات والمبادلات التجارية في سوق تادمكة

عرف سوق مدينة تادمكة تعاملات ومبادلات تجارية لمختلف السلع وعلى كل الأنواع والأشكال، فالسوق كان يمثل مركزا تجاريا إفريقياً وصحروياً بامتياز، مما جعله قبلة لكل التجار ومن مختلف أقطار العالم.

فلقد كانت سوقها كبيرة ورائجة تلتقي فيها جميع بضائع القوافل التجارية القادمة من الشمال الإفريقي ومن الشرق الإفريقي أيضا، وكانت بوابة لدخول السلع إلى بلاد السودان الغربي، ويعود ذلك للمركز التجاري المتميز التي كانت تتميز به المدينة، لأنها كانت محطة رئيسية لعبور القوافل التجارية العابرة في الصحراء، و قد منحت هذه الطرق تادمكة فرصة للالتقاء التجاري مع الأسواق الأخرى كأسواق: تيرفي، توتك، سجلماسة ،برقة، غدامس، كوكو، السودان، غانا، إفريقيا، مصر[1].

فتمكنت تادمكة على أثرها من التسويق لمنتجاتها ومنتجات الأسواق المجاورة لها، ومن بين هذه السلع والبضائع المحلية كالأحجار الكريمة والذهب و النحاس، وأيضاً أنها كانت تقوم بدور الوسيط لتسويق عدد من المنتجات الهامة، ومن أهمها: الجريد والملح والجلود وحجر الشب وحجر تاسي النسمت والرقيق والثياب والحبوب والفخار المغربي، ومن بين تلك البضائع التي كانت متواجدة في السوق هي من الذهب والحبوب والعاج، إضافة إلى بضائع المناطق المجاورة كبلاد المغرب والصحراء، حيث يجلب من هذه المناطق الملح والمنسوجات

[1] الحميري: المصدر السابق، الصفحة 145.

والبخور وكل شيئ يباع ويشترى يؤتى به ويعرض للبيع في سوق تادمكة، ولهذا عرف أهلها ب "كيل السوق" أي أهل السوق[1].

المبحث الثالث: الحياة العلمية في السوق

ان السوق في تادمكة لم يكن مقتصراً على التجارة فقط بل قامت فيه العديد من النشاطات العلمية والدينية، وذلك نظراً للمجهودات المبذولة من طرف العلماء السوقيين الذين وهبوا حياتهم لنشر العلم والدين الإسلامي في الأرض الصحراوية الإفريقية.

المطلب الأول: النشاط العلمي وابرز العلماء السوقيين

ازدهرت تادمكة علمياً واصبح السوق منارة علمية في قطر السودان الغربي، ويعود الفضل إلى العائلات العلمية التي اهتمت بنشر العلم في المدينة وتعليمه، فلقد برزت الكثير من العائلات والمدارس السوقية، ومن اشهرها: "مدرسة إجدش" ومن علمائها الشيخ ابن القارئ، إضافة إلى مدرسة "كل تجلات": من أشهر علمائها الشيخ أحمد بن الشيخ، والشيخ أحمد بن الشيخ، والشيخ الإمام بن محمد، والمؤرخ العتيق بن سعد الدين الإدريسي، صاحب كتاب "الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين" إلى جانب مدارس أخرى مثل: "كل تكيرين"، "وكل جنهان"، و"كل تكرنات"، و"كل أضاغ"، و"كل أعشر"، و"كل تموكسن"، و"كل تنغ آكلي"[2].

يبدو كما هو ناتج ومقتضى الآثار المقروءة والمشاهدة، أن هذه المدينة كانت منارة علم ومعقل عز وملك وملتقى شبكة اتصالات بأكبر المدن في بلاد المغرب الإسلامي وغيره[3].

1- النشاطات العلمية:

[1] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 880.

[2] البكري، المغرب، المصدر السابق، الصفحة 183.

[3] محمد أحمد الإدريسي السوقي: المرجع السابق، الصفحة 71.

كان النشاط العلمي من اولويات السوقيين، حيث أن مدرستهم كانت تحتل المرتبة الأولى من حيث العلم في الصحراء الأزوادية، وأمضى أهل العلم في السوق في طلب العلم وتعليمه ليلا ونهاراً، وذلك من أجل بقاء المدرسة السوقية منارة علمية، فأصبحت مدرسة علمية مرجعية في الصحراء الأزوادية دون منافس لها، وكانت هذه المدرسة مشهورة باهتمامها المستمر بالتخصص في جميع الفنون التي تدرس عندهم، فكان همهم الوحيد هو الحرص على التحصيل المعرفي بصبغته الشرعية وملامحه العربية، وذلك من خلال الاعتناء بتدريس أهم الكتب في العربية والشريعة الاسلامية[1].

2- الجهود الإصلاحية و الدينية للمدرسة السوقية:

المدرسة السوقية ليست كما يراها أو يظنها من لا يعرفها، ولازالت تتبنى مشروعاً علمياً وتربوياً شاملاً لجميع جوانب الحياة، ولم تكن جهود الإصلاح مختزلة في جانب دون آخر بل كانت تشمل الإصلاح الديني التربوي حسب الإمكانيات المتاحة، وكذلك الاجتماعي والذي يتمثل في فض النزاعات، والتصدي للمشكلات الطارئة وتقديم النصيحة لزعماء قبائل الطوارق بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

كما جندت المدرسة السوقية في الصحراء كل طاقاتها لنشر الإسلام والعمل على إبقاء الدين الاسلامي في منطقة الصحراء الإفريقي وفي قلوب أبناء المنطقة، وتمثلت تلك الجهود في الحفاظ على جانب القضاء والإفتاء في المنطقة، وهذان الجانبان لهما دور كبير في الجانب العلمي الذي كانت معتمد بشكل شبه كلي على السوقيين، وأنهم لم يدخروا جهداً في القيام بتلك المهمة العظيمة والأمانة الجسيمة التي تحملوها باختيارهم في جميع مناطق تواجدهم، كما شملت تلك

[1] الحسني الإدريسي؛ المصدر السابق، الصفحة 140.

[2] الحميري؛ المصدر السابق، الصفحة 130.

الجهود الجانب المالي الذي كان من الجباية والزكاة والأحباس والأوقاف وإدارتها وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين إليها[1].

المطلب الثاني: الطرق التعلمية في السوق

من طرق تعلمهم أنه إذا بلغ الصبي منهم سن خمسة سنين وخمس أشهر، كتبوا له حروف الهجاء حتى يتقنها، ثم يتعلم قراءة القرءان برواية ورش عن نافع، يكتبون له الفاتحة، ثم المعوذتين ثم سورة الإخلاص، ثم قصار المفصل ثم طوله إلى أن يتمرن على قراءة كل مايُكتب له، ثم ما بقي يكتبه له الشيخ للتلميذ في أسطر أو سطور إلى ثمن الحزب، أو ربعه أو أكثر، فيكرره التلميذ حتى يحفظه ويقرؤه خلف ظهره، ثم يكتب له وهكذا فمنهم من يختم القرءان غير متقن الحفظ، ثم يحفظه بعد الكبر، ومنهم من يختمه في عامين أو أكثر وقليل منهم يختمه في عام[2]، كما ذكر لنا "الشيخ العتيق" في كتابه "الجوهر الثمين"، أنه أدرك شيخاً من أعمامه من أهل تبُرق اسمه "ساي بن القاسم"، ذكر بأنه ختم القرءان ورسالة أبي زيد في عام واحد وقرأ الأجرومية وملحة الإعراب للحريري وألفية ابن مالك في العام الثاني[3].

ومنهم من يبقى على قراءته أعواماً ولا يتيسر له حفظه، فإذا يأس شيخه أو أبيه من استظهاره له أعرض عن إقرائه إياه وشرع في تعليمه فرض عينه لكي لا يبلغ جاهلاً به، فكان إذا أكمل الصبي قراءة القرآن سواء كان بحفظه أو عجزه عن حفظه، فإنه ينتقل إلى حفظ رسالة أبي زيد القيرواني، وتتم العملية عن طريق كتابة الشيخ لتلميذه مايقدر على حفظه، وحفظ ترجمته باللغة التارقية، فإذا أتم حفظ درسه جعل شيخه يترجم له الدرس كلمة كلمة حتى يتقن حفظه وفهمه، فلا يزال التلميذ يترقى ويتدرج في فهم كيفية الترجمة، فمنهم من يجمع بين تفهم

[1] البكري؛ المغرب، المصدر السابق، الصفحة 184.

[3] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 140.

مايمليه عليه الشيخ من المسائل الفقهية، وبين فهم اللغة التارقية، ثم منهم من يختم رسالة أبي زيد القيرواني ثم يشرع في تعلم علم النحو، ومنهم من لايختمها[1].

أما علم النحو: فهو المقصود الأهم عندهم، حتى صار عند بعضهم معياراً على العلوم من أحسنه جعله وسيلة إلى غيره من العلوم حتى يتقنها، ومن لم يحسنه ترك التعلم رأساً لاستحيائه من اللحن في الكلام، الذي يوجبه على القواعد النحوية، و اللحن عندهم في القراءة كان عندهم من أقبح القبائح، وكانت الطريقة التي يتعلم بها الصبي النحو، هي أن يقرأ مقدمة ابن أجروم أولا قراءة تفهم وتحقيق، فإذا شرع في حد الكلام لقنه الشيخ ما يجيب به الممتحن في درسه بأن يسأله عن التركيب أهو كلام في اصطلاح النحاة أم لا، فيداوم على تدريبيه وتلقينه على ذلك حتى يستطيع أن يحقق الفرق بين ما هو كلام و ما ليس بكلام.[2]

أما بعد الانتهاء من النحول فإنه ينتقل به إلى تحقيق الفرق بين الاسم والفعل والحرف بعد معرفة علامات كل منهما حتى يحقق الفرق بينهما، ثم ينتقل به إلى باب الإعراب فكلما وقف على مثال أعربه كلمة كلمة، و يفعل كذلك في بقية الأبواب حتى يكمل الكتاب، فمنهم من يفهم كيفية إعراب التركيب قبل ختم المقدمة، ومنهم من لايفهم إلا أقل القليل ثم منهم من يقرأ ملحة الإعراب للحريري، ومنهم من يقرأ قطر الندى لابن هشام، ثم يقرأ ألفية ابن مالك ولامية الأفعال له، وهذا هو القدر الذي لا يكتفون بدونه، وهو المرتبة الدنيا عندهم التي من قصر عنها لايتكلم في المجلس، ولا يؤخذ عنه العلم إلا تحفيظ القرآن.[3]

المطلب الثالث: القضاء والإفتاء في السوق

إن القضاء في تادمكة لم يكن من الوظائف السلطانية، لأن سلاطينهم كانوا أميون لا يعرفون من الأمور إلا ما يتعلق بالحرب والسلاح، فتولاه أهل العلم في

[1] ابن حوقل؛ المصدر السابق، الصفحة 109.

[2] العمري؛ المصدر السابق، الصفحة 133.

[3] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 140.

السوق الذين تتوفر فيهم شروط القضاء، وكانت فيهم جماعة يتوارثون القضاء وذلك بالاتفاق على أن يكون العلم في أهل البيت، من الابن إلى الجد، لكن شرط أن يكون الابين عالم بالقضاء والعلوم الشرعية، فإذا قصر الابن عن آبائه طلبوا من أهل البيت وبني عمه من يستحق ذلك المنصب، فيولونه ما للقاضي قبله من الفصل بين الخصوم والنظر فيما ينظر في القضاة والولاة من أمور من يتبعه من الناس[1].

هذا هو الذي يعملونه في حق جماعة لهم مسجد يرجعون إلى أهله في أمورهم لأن العادة فيهم أن الحي الذي يكثر فيه العلماء، هو الذي يحكم في أمم كثيرة ممن ليس فيهم العلماء، ويرجع إليهم في الأمور وينفذون كل طلب يأتي لمسجدهم وغير أهل العلم لايكون فيهم مسجد كذلك بل مساجدهم مقتصرة على أداء الصلوات فقط، وكل ما يقع بهم من النزاعات يرفعونه إلى مسجد علمائهم، ومن بين تلك المساجد التي تحكم على أهل المساجد لكون علمائها أكثر علماً وعدداً، إضافة أن لها مهابة و مكانة عند السلاطين، وهي: مسجد آل محمد البشير، مسجد أهل تكلالة، مسجد أهل تبروق، مسجد أهل كنهان، مسجد بني أعال الذين يعرفون ب " أهل "تمكسن "، وأهل هذه المساجد كانت تحت حكم حي واحد في جميع أمورهم الدينية[2].

بعد تولي أمير كردن الإمارة على البلاد جمع أهل العلم وطلب منهم أن يعيينو له العالم الذي يكون الأجدر والأصلح بينهم، فاتفقت كلمتهم على العالم محمد البشير فولاه القضاء العام، وهناك رواية أخرى جاء فيها أن الشيخ محمد المختار آثر أخاه محمد البشير بتلك الأمانة الجليلة، لأنه كان يرى فيه أنه قد استكمل شروط القيام بها من جهة العلم والدين والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، فلما آثره بها،

[1] مزاحم الشاهري؛ المرجع السابق، الصفحة 125.

[2] البكري؛ المسالك والممالك، المصدر السابق، الصفحة 881.

وكان الأمير كردن هو الذي يقوي القاضي في نفوذه ويمنحه إمتيازات، وكان لايمانع من أن يقيم أخ القاضي في مقامه إذا كانت له نفس الدرجة العلمية[1].

[1] العتيق السوقي؛ المخطوط السابق، الصفحة 142.

خاتمة

من خلال ما سبق يتضح لنا أن مدينة " تادمكة" كانت حاضرة علمية بارزة في منطقة السودان الغربي، سواء من الناحية الاقتصادية أو العلمية، وهذه حقيقة أكدتها المصادر التاريخية، وبعد هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

1 – إن الموقع الاستراتيجي للمدينة أهلها لتكون همزة وصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي، فلقد أصبحت محطة تجارية تصلها القوافل القادمة عبر الصحراء.

2 – كما أن مدينة "تادمكة" كانت منطقة لجذب الكثير من الأجناس البشرية المعمرة في إفريقيا وباقي العالم.

3 – تاريخ وصول الإسلام الى مدينة تادمكة وانتشاره في منطقة السودان الغربي.

4 – أما السوق الذي كانت في المدينة ذاع صيته ووصل إلى المناطق البعيدة لأنه كان مركزاً للتبادل التجاري، بحيث كان يباع ويشترى فيه كل شيء كالذهب والفضة والفخار، وأيضا كانت فيه تجارة الرقيق.

5 – كما مثلت المدينة دوراً سياسيا وأيضاً اجتماعيا إضافة إلى الدور الاقتصادي والعلمي في بلاد السودان الغربي.

6 – الحركة العلمية الواسعة في المنطقة و مساهمة العلماء السوقيين في نشر الدين اللإسلامي والعلوم الشرعية.

7 – جهود المداس السوقية في إصلاح وتوعية المجتمع في تادمكة.

8 – النشاطات العلمية التي قامت في المدينة والطرق التعلمية في المنطقة.

الملاحق

الشكل 1 : منظر من الشرق إلى الغرب عبر المنطقة المركزية من أطلال تادمكة، الممتدة من تل إلى تل، يمكن رؤية بقايا الهياكل الحجرية في كل مكان.

Sam Nixon, Tadmmekka

الشكل 2: خريطة أطلال مدينة السوق، مع صورة جوية لجزء من الأنقاض.

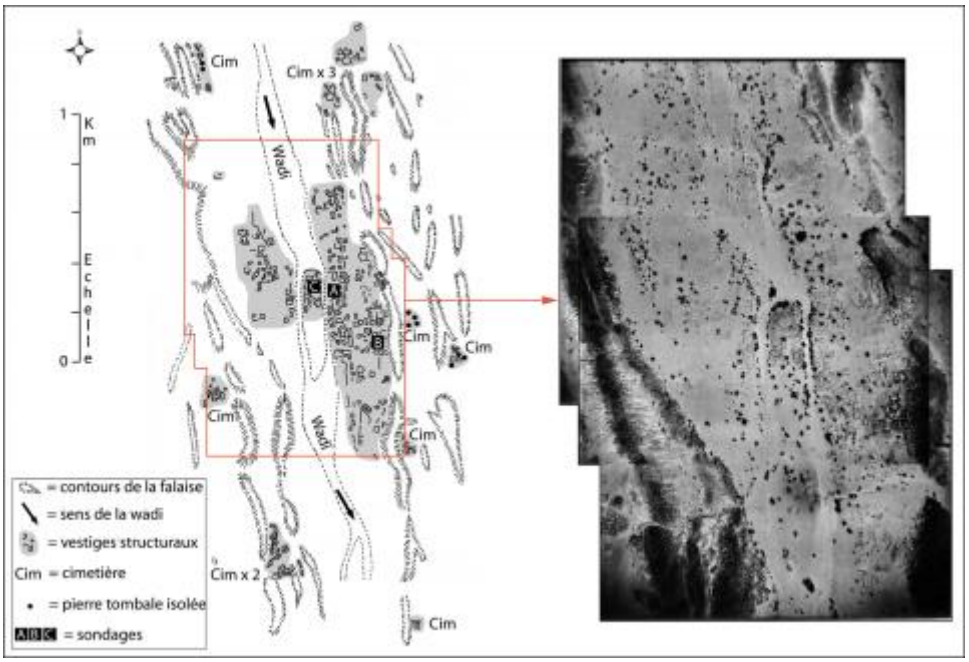

Sam Nixon, Tadmmekka

الشكل 3 : منظر لوادي السوق، موقع أطلال تادمكة.

Sam Nixon, Tadmmekka

الشكل 4 : خريطة توضح موقع تادمكة في غرب إفريقيا وأول نظام تجاري إسلامي عبر الصحراء.

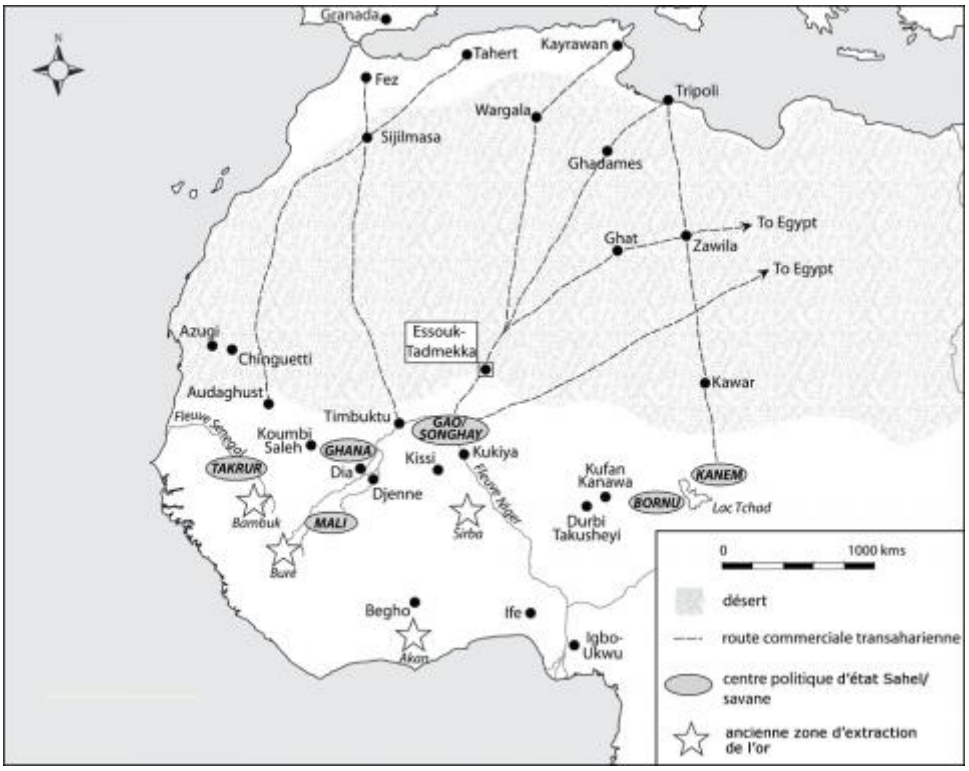

Sam Nixon, Tadmmekka,

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- الإدريسي السوقي الشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين الحسني: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين.
- بن سعيد المغربي علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- البكري ابى عبيد عبد الله عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد.
- البكري أبي عبيد عبد الله عبد العزيز: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فريي، الدار العربية للكتاب، 1992م.
- البلنسي محمد العبدري: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ/2007م.
- الحميري محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- الحسني الإدريسي محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989.
- الزهري محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- الكردي المكي محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج1، تحقيق عبد المالك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م.
- النصيبي ابن حوقل ابو القاسم محمد: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- العمري شهاب الدين أحمد يحي فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م.
- القلقشندي أحمد أبو العباس: صبح الأعشى، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة،1333هـ/1915م.
- ياقوت الحموي عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

المراجع:

- الإدريسي السوقي محمد أحمد: المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، ط1، دار اسامة، عمان الأردن، 2010.
- الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط1، دار المجمع العلمي، جدة، 1399هـ/1979م.
- حياوي فراس مسلم سليم: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع10، جامعة بابل، جمادى الثاني2013.
- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في العهدين الأسبقيين 1493-1591، الشركة الوطنية، 1971، الصفحة 212
- عبد الفتاح زهرة عبد الغني: تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1428هـ/2008م.
- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 515/430هـ - 1121/1038م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988.
- ولد السالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيطي(موريتانيا)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المجلات العلمية:

- حسن دتاوشيخت: سجلماسة كمركز للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الإفريقية على جانبي الصحراء 1998.
- الشاهري مزاحم علاوي محمد: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، غرداية، الجزائر، 2011م.

الروايات الشفوية:

- رواية محمد أحمد السوقي، تادمكة، 2013/05/05م.

المصادر الأجنبية:

-Sam Nixon: (Tadmekka. Archeologie d' une ville caravaniere des premiers temps du commerce transsaharien), Afriques, 23 mai2013AD.

الفهارس

اولاً: فهرس الموضوعات

ثانياً: فهرس الأماكن

ثالثاً: الكلمات المفتاحية

فهرس الأماكن:

اسم المكان	الصفحة
- أبيبرا	- 7
- أنفيف	- 7
- أدلن	- 8
- أغرس	- 15
- أربند	- 15
- أودغست	- 41
- آير	- 6، 8، 19، 20
- إبدقن	- 7
- إدموسن	- 8
- إركنتن	- 8
- إكدش	- 14
- إمكدزن	- 20
- إزكارن	- 20
- إسطاغن	- 20
- إيمكيتش	- 20
- إيمكدون	- 20
- إيكوفان	- 20
- إيفرين	- 20
- التشاد	- 13
- الحبشة	- 41
- النيجر	- 11، 20، 29،
- الجزائر	- 7
- السوق	- 6، 9، 10،
- بلاد السودان	- 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9،

	10، 11، 12، 13، 35، 42
- بلاد المغرب	- 8، 21، 29، 42
- تادمكة	- 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21,42، 47
- تنبكت	- 8، 19، 21
- ترقي	- 39
- تسليت	- 7،
- توات	- 19، 21، 30
- تونس	- 28
- تيهرت	- 11، 21
- دموسة	- 8
- زويلة	- 41
- كاو	- 8، 9، 10، 41
- كردن	- 14
- كوكو	- 8، 10، 26، 42
- كل آضاغ	- 6
- كلتموليت	- 8
- كل تموكسن	- 43
- كل تنغ آكلي	- 43
- كل جنهان	- 43
- كل تكيرن	- 43
- كل فروان	- 20
- كغارة	- 13
- كيدال	- 6
- ليبيا	- 13

- مملكة مالي	- 6، 7، 13
- مملكة الكانم	- 13
- مملكة الصنغاي	- 13، 26،
- مصر	- 38، 40، 41، 42
- موريتانيا	- 6
- نيجيريا	- 13
- صنهاجة	- 7، 19، 26
- صكتو	- 14
- غدامس	- 41، 43
- سجلمانة	- 42
- ورجلان	- 41
- ولاته	- 13

الكلمات المفتاحية:

تادمكة، السوق، السودان الغربي، الصحراء الكبرى.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات:

إهداء.....
شكر و عرفان.....
مقدمة.....1

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن المدينة

المبحث الأول: نبذة عن مدينة تادمكة.....6
المطلب الأول: الموقع الجعرافي للمدينة.....6
المطلب الثاني : نشأة المدينة.....7
المطلب الثالث: اصل تسمية المدينة.....8
المبحث الثاني: الجانب السياسي للمدينة.....11
المطلب الاول: المماليك التي سيطرت على تادمكة.....11
المطلب الثاني: سادات القبائل.....14
المطلب الثالث: سياسة المدرسة السوقية.....16
المبحث الثالث: الجانب الاجتماعي والديني للمدينة.....18
المطلب الأول: قبائل تادمكة.....19
المطلب الثاني : الحياة الإجتماعية في مدينة تادمكة.....26
المطلب الثالث: دخول الاسلام لمدينة تادمكة.....28

الفصل الثاني: دور مدينة تادمكة في السودان الغربي

المبحث الأول: الجانب الحضاري للمدينة.....33
المطلب الأول: آثار مدينة تادمكة.....33
المطلب الثاني: أوجه الشبه بين مكة المكرمة ومدينة تادمكة.....34
المبحث الاول: الحياة الاقتصادية في مدينة تادمكة.....36
المطلب الاول: المقومات التجارية في تادمكة.....36
المطلب الثاني: التجارة في تادمكة.....38

المطلب الثالث: التعاملات التجارية في سوق تادمكة.....42
المبحث الثالث :الحياة العلمية في السوق.....42
المطلب الأول: النشاط العلمي وابرز العلماء السوقيين.....43
المطلب الثاني: الطرق التعلمية في السوق.....44
المطلب الثالث: القضاء والإفتاء في السوق.....46
خاتمة.....48
الملاحق.....50
قائمة المصادر والمراجع.....55
الفهارس.....58
فهرس الأماكن.....59
الكلمات المفتاحية.....62
فهرس الموضوعات.....63
الملخص.....65

ملخص المذكرة

كانت الدراسة على مدينة تادمكة ودورها في السودان الغربي، حيث خلصنا من خلالها إلى تحديد موقع تادمكة، إضافة إلى العوامل التي ساعدت على نشأة هذه المدينة، وتطرقنا إلى المسميات التي أطلقت على المدينة، ومنه إلى تاريخ وصول الإسلام إلى تادمكة، وذكرنا التركيبة الإجتماعية ومختلف الأجناس التي استوطنت المدينة، إضافة إلي الدور السياسي الذي لعبته المدينة في منطقة السودان الغربي ، وابرز المقومات الإقتصادية لتادمكة، والمتمثلة في الطرق التجارية التي جعلت من المدينة قطب تجاري بإمتياز في منطقة السودان الغربي، وتحدثنا عن الحركة العلمية التي قامت بتادمكة وجهود العلماء السوقيين الذين قاموا بعدة إصلاحات من أجل إزدهار العلم بالمدينة، إضافة إلى الطرق التعليمية التي كان تعتمد في المدارس السوقية، أيضاً تكفل العلماء السوقيين بالقضاء والفتاوى في تادمكة.

Study summary

The study was on the city of Tadmka and its role in western Sudan, where we concluded through it to determine the location of Tadmka, in addition to the factors that helped the emergence of this city, and we touched on the names given to the city, and from it to the date of the arrival of Islam to Tadmka, and the social structure and the various races Which settled the city, in addition to the political role that the city played in the western Sudan region, and the most prominent economic components of Tadamka, which are represented in the trade routes that made the city a commercial pole par excellence in the western Sudan region, and we talked about the scientific movement that took place and the efforts of market scientists who made several Reforms for the flourishing of science in the city, in addition to the educational methods that were adopted in the market schools, also ensured the market scholars Those who made several reforms for the flourishing of science in the city, in addition to the educational methods that were adopted in the market schools, the market scholars also ensured the judiciary and fatwas in Tadmkeh.